الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطيّة الشّعبيَّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلّية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فنّ الخطابة عند الشّيخ محمّد بن ابراهيم سعيد(كعباش)

مقاربة أسلوبية لثلاث عيّنات خطب من كتابه " صرخات على مسرح المجتمع"

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات شهادة الماستر في اللّغة العربية وآدابها

تخصص أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالب:

حاج سعيد بابه بن محمد

تحت إشراف الأستاذ:

حاج امحمد يحي بن بهون

السنة الجامعية: 1437هـ- 1438هـ / 2016 م- 2017م

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطيّة الشّعبيَّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلّية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فنّ الخطابة عند الشّيخ محمّد بن ابراهيم سعيد(كعباش)

مقاربة أسلوبية لثلاث عيّنات خطب من كتابه " صرخات على مسرح المجتمع"

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات شهادة الماستر في اللّغة العربية وآدابها

تخصص أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالب:

الحاج سعيد بابه بن محمد

تحت إشراف الأستاذ:

حاج امحمد يحي بن بهون

لجنة المناقشة:

الأستاذة: مصيطفى عقيلة.....رئيسا

الأستاذ: محمد أحمد جهلان.....مناقشا

الأستاذ: حاج امحمد يحي..... مشرفا

السنة الجامعية: 1437هـ- 1438هـ / 2016 م- 2017م

أُهدي ثمرةَ جهدي:

- إلى ورثة الأنبياء وأنوار الدّجى؛ منهم الشَّيخ محمد سعيد كعباش، بارك الله في عمره؛ إنصافا ووفاء.
- إلى روح أمّي العزيزة الطاهرة حُبًّا وولاء، أرجو أن أكون لها نِعم الولد الصالح، يدعو لها برحمة الله تعالى والسّعادة الأخرويّة–آمين
- إلى أبي الكريم حبًّا وولاء، الذي أحسن تربيتي ماديّا ومعنويّا، والذي سيفرح كثيرا بهذا الإنجاز.
- إلى زوجتي الطيّبة الوفيّة، التي كانت لي نِعم السّند في تهيئة الظروف الملائمة للبحث.
- إلى أختي وإخواني الأعزّاء، وكلّ العائلة والجار وذي القُربى، المُحبّين للعلم والمُشجّعين لأهله.
- إلى كلّ الأبناء البررة، منهم أبنائي: زكرياء، صفيّة، مريم، محمد؛ أدعو لهم بإخلاص بالهداية والتوفيق.
- إلى كلّ راغبٍ غيور في خدمة لغة القرآن الكريم(لغة الضّاد)، وراجٍ ينتظر أن تُملأ الأرضُ عدلا وتمكينا للدّين بعد إذ مُلئت ظلما وجورا.
- إلى كلّ المعلّمين والمعلّمات الأوفياء عامّة، وخاصّة الذين لهم فضل في كلّ مرتبة وصلت إليها.
- إلى كلّ مُوفٍّ ممّن أحسن إليّ بأيّ نوع من الإحسان من قريب أو بعيد؛ أخصّ منهم صديقي الوفي الأستاذ نورالدين بن مسعود سعيد ...
- إلى كلّ أبنائي من الطلبة النّجباء في مختلف المدارس...

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السّبيل

ملخّص البحث:

تناول حياةَ الشَّيخ وآثارَه، والتّعريفَ بكتابه:" "**صرخات على مسرح المجتمع**"، ثمّ تطرّق إلى مفهوم فنّ الخطابة وتجلّياته عند الشّيخ؛ حيث بزغ نجمُه في سماء الخُطباء الجزائريين، كثمرة يانعة للمسيرة المباركة التَّعلُّمية والتكوينيّة للشّيخ، فاتّخذ منها **الإصلاحَ فكراً ومنهجاً ومبدأً**، كوسيلة لتقويم الأخلاق وترسيخ العقيدة في النُّفوس ونشر الصَّلاح في الوسط الاجتماعي.

ومن ثمار أعماله الأدبيّة كتابُه "**صرخات على مسرح المجتمع**" النموذج لفنّ الخطابة؛ من خلال ما لمسناه فيه من تجلّيات في أسُس فنّ الخطابة، وتلك السّمات الفنّية والدّلالات الإيحائية في مختلِف المستويات الأسلوبية، ومن خلال توفيقه بين دقَّة معالجته للفكرة في **المضمون**، وبين جماليات القيم الأدبيّة والفنّية في **الشَّكل**.

الكلمات المفتاحية: الشيخ محمد سعيد (كعباش)، الخطبة، الأسلوبية

Research Summary:

Dealt with the life of Sheikh and his works. And the definition of his book "calls on the community' stage", Then he dealt with the concept of public discourse and its manifestations in the Sheikh. Soon, His name became well known among Algerian preachers as a result of fruitful and blessed course of formation and study. By which he made of –reform- a way of thinking , approach, and a principle to evaluate ethics, establishing faith in the soul and spreading goodness in the community.

One of the results of his literary works is that his book "calls on the community' stage" considered a sophisticated literary model of rhetoric and stylistic approach. Through what we saw as manifestations in the basics of the art of public discourse, and those technical and semantic features in different stylistic levels. We concluded that the sheikh Mohamed Said Kahbash is truly an author and a man of literature, by reconciling between the accuracy of the treatment of the idea in content and the aesthetics of literary and artistic values in the form.

Key words : Sheikh Mohamed Said Kahbash, discourse (public speaking), stylistic.

مقدمة

إنَّ البحث في التُّراث الأدبي ودراستَه دراسة معمَّقة واعية وفق منهج تحليلي موضوعي، لا يزال مجالا خصبا للباحثين والدَّارسين؛ ينطلق من فهم دقيق لكلِّ الأطر التي أسهمت في هذا الرَّصيد الأدبي، بهدف استخلاص القيم الأدبية والجمالية التي تكون دافعا إلى الإبداع الأدبي. وقد ظلَّ التُّراث الأدبيّ الجزائريّ ولا يزال زاخرا بمختلف النِّتاجات الفكرية والإسهامات الأدبية الرّاقية، إلاّ أنَّه لم ينل حظَّه من الدِّراسة والاهتمام ما ناله صنوه في المشرق العربي.

ومن بين الفنون الأدبيَّة النثرية التي أجادها الأدباء "**فن الخطابة**" الذي اتّخذوه رسالة منبريّة لتهذيب الأخلاق وتقويم سلوك الفرد والجماعة، وبعث الرّوح الأدبيّة والذّوق والإبداع في النّفوس. ومن هؤلاء الشّيخ **محمد سعيد كعباش** –حفظه الله تعالى وبارك في عمره، ونفع به الأمة ـ الذي اتخذت من خطبه محلّ بحثي الموسوم بـ:

فنّ الخطابة عند الشَّيخ محمّد بن ابراهيم سعيد (كعباش)

مقاربة أسلوبية لثلاث عيّنات خطب من كتابه " صرخات على مسرح المجتمع"

- **أسباب اختيار الموضوع:**

1) حبُّ الاستزادة في العلم وإجلال العلماء الربّانيين؛ فرجائي دائما أن أصل إلى مصافهم، فهم ورثة الأنبياء، ولمنزلتهم عند الله تعالى، وفضلهم عند الناس.

2) خدمةُ اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – بقواعدها وبلاغتها والتعرف على أسرارها؛ فرجائي دائما أن يُكرمني الله تعالى ويفتح عليّ بملكتها، لأتذوّقها لفظا ومعنى، وأُعبّر بها مثل فصحاء العرب، وأُنشّئ أبنائي عليها من أسرتي ومجتمعي ووطني.

3) مواصلة التَّعريف بأدباء المنطقة والسير على منهج الأسلوبية المُتميّز؛ فلقد كانت مذكرة تخرجي في شهادة الليسانس – مع شركائي في المذكرة – حول أحد أعلام قرية غرداية وهو: "الشيخ حمّو بن عمر فخار" ـ رحمه الله- من خلال مقاربة أسلوبية لعينات من خطبه.

4) شخصية **الشيخ محمد سعيد كعباش** البارزة في مجال الخطابة وأعماله الأدبية.

5) كون الشَّخصيّة لم تُتعرَّض للبحث الكافي فيها بدراسة مستقلّة أكاديمية في المجال الأدبي، رغم توفر مصادر كتاباتها.

6) استثمار مكتسباتنا العلمية في دراسة تراثنا الأدبي المحلّي.

7) إسهام في فعاليات الملتقى الوطني للشيخ محمد سعيد كعباش "أديباً ومفسراً"؛ والذي نُظّم بجامعة غرداية يومي 14-15-مارس 2017م

- **أهداف الموضوع:**

1) الرغبة الملحة في التَّعريف بأدباء المنطقة عامة ومشايخ بلدتي خصوصا، ولتثمين جهودهم المبذولة في التربية والإصلاح، والذين نُكنّ لهم كل التقدير والاحترام، فهم بحق رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وصلوا بياض نهارهم بسواد ليلهم، وضحّوا بكل نفيس في سبيل إصلاح مجتمعه وتهذيبه؛ ومن هؤلاء **الشيخ محمد سعيد كعباش**، الذي جاهد في حقل التربية والإصلاح بما يربو عن **أربعين** سنة.

2) إخراج أعماله الأدبية إلى السَّاحة الفكرية والأدبية والنقدية، ليشعّ نورها في الآفاق، وتُسهم في إثراء المكتبة العربية.

3) محاولة الاستفادة من الآليات الأسلوبية في مقاربة نماذج لنصوص نثرية، لأنَّ أغلب الدِّراسات الأسلوبية تناولت نصوصا شعريَّة.

4) إبراز ما تحويه خطب الشيخ من قيم جمالية وسمات أسلوبية.

5) إبراز دور الخطابة كآلية للتَّوجيه والتَّوعية، ثم ما للخطيب من دور في معالجة قضايا مختلفة من الواقع الذي يعيشه والأحداث التي تستوقفه محلِّيا ووطنيًّا ودوليًّا.

- **الدراسات السابقة:**

في الحقيقة أنّ الدَّراسات السَّابقة لهذا الموضوع كانت شحيحة إلا ما كان في جانبها الدّيني من تفسير القرآن الكريم-مثلا- لذا حاولت جهد المستطاع أن أقف عند هذه الشَّخصية علَّني أُوفّي ببعض ما تستحقه من الاهتمام، في جانبها الأدبي والأسلوبي.

- **إشكالات البحث:**

وقد أثار هذا البحث فيّ إشكالات مختلفة نابعة من طبيعة الموضوع وجدَّته، فباشرت البحث انطلاقا من **إشكال جوهري** هو:

*ما تجليات مستويات الأسلوبية ودلالاتها في خطب الشَّيخ محمد سعيد (كعباش)؟

و**إشكالات فرعيّة** هي:

*ما طبيعة الموضوعات الّتي طرقها في خطبه؟ من خلال الكتاب المختار في البحث.

*ما تجليات فن الخطابة على خطب الشَّيخ محمد سعيد كعباش؟

* ما مدى تأثير منهج المدرسة الإصلاحية الجزائرية على موضوعات خطب الشيخ ؟

*ما سمات الصبغة الأدبية في تلك الموضوعات؟

*كيف تجلى أسلوب الإقناع فيها؟

ومن خلال مسيرتي في هذا البحث سأحاول الإجابة عن هذه الإشكالات وغيرها، وفق الخطة التّالية:

بعد المقدمة انطلقت في **تمهيد** يُبيِّن "مفهوم فن الخطابة، ومساره التاريخي إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر، وتأثيرها على الحركة الإصلاحية بالجنوب خاصّة بوادي مزاب، ثم يوضِّح مدى تأثير مختلف الرّوافد في تكوين فكر الشَّيخ محمد سعيد(كعباش) الإصلاحي وشخصيته الدِّينية والسياسية والأدبيَّة، وانعكاس ذلك على نتاجه الأدبي سيما في فنّ الخطابة. ثمّ تَناولتُ في صلب البحث عيّنات ثلاث لخطب من كتابه "**صرخات على مسرح المجتمع**"؛ خطبة مأخوذة من القسم السّياسي، وأخرى مأخوذة من القسم الثقافي، والأخيرة من القسم الاجتماعي، معتمدا المنهج الأسلوبي الذي يأخذ بمعطيات علم اللغة العام، ويستثمر فروع اللغة المختلفة استثمارا نقديّا وجماليا، وكانت الدّراسة مُوزّعة على مبحثين رئيسيين؛

كان **المبحث الأوّل** "**نظريّا**" بعنوان: **الشيخ محمد سعيد كعباش خطيبا**، من خلال كتابه "**صرخات على مسرح المجتمع**". تناولت فيه **مطلبين:**

أوّلهما تطرقت فيه إلى نبذة عن حياة الشيخ وآثاره، وكذا التعريف بكتاب"**صرخات...**".

و**ثانيهما** عَرَضْتُ فيه " فنّ الخطابة وتجلّياته عند الشيخ محمد سعيد كعباش".

ثم توّجت هذا المبحث بما توصلت إليه من أهمّ النتائج.

أما عن **المبحث الثاني** فكان "**تطبيقيا**" بعنوان: **مقاربة أسلوبية لفن الخطابة** عند الشّيخ محمد سعيد كعباش (ثلاث عيّنات لخطب من كتابه "**صرخات على مسرح المجتمع**")، تناولته من خلال ثلاثة مطالب؛

الأول: المستوى الإفرادي(للظَّواهر الصَّوتية والصَّرفية).

والثاني: المستوى التركيبي (للظَّواهر النَّحوية والظَّواهر البلاغية).

والثالث: المستوى الدلالي (ظواهر التَّناص والظَّواهر الدَّلالية)؛ تناولت فيه تلك العلاقات الترابطية بين مفردات النص.

حاولت أن أتتبّع في كلّ مستوى من مستويات الأسلوبية أهمّ الظواهر المُتَكرّرة، ثم الدّلالات والإيحاءات المُستخلصة منها، ومختلف السمات الفنية، لأسجّل في الأخير ما توصلت إليه من نتائج.

أمّا عن المناهج المتّبعة في هذا البحث فقد سلكت **المنهج التاريخي** حين التمهيد للبحث، والتَّعرض إلى حياة الشَّيخ، والوصف لاستقراء بعض القضايا التي تعرَّض إليها الشَّيخُ في موضوعات خطبه، كما اعتمدت **المنهج الأسلوبي** الذي هو من المناهج النَّقدية النصية المعاصرة، في تحليل النماذج الثلاثة من الخطب المختارة.

ومن الصُّعوبات التي واجهتني خلال رحلتي مع هذا البحث:

1- ندرة المراجع الورقيّة التي تطرَّقت إلى الموضوع من جهة، وقلة الدِّراسات الأسلوبية للنُّصوص النَّثرية مقارنة بالشِّعرية منها من جهة أخرى. إلّا ما كان من الكتب الإلكترونية فقد استفدت كثيرا في "**مبحث المقاربة الأسلوبية**" من بحثين لطالبين فلسطينيين، أعدّاه لنيل شهادة الماجستير؛ **الأول** بعنوان: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، لصاحبه: مروان محمد سعيد عبد الرحمن، **والثاني** بعنوان: دراسة أسلوبية في سورة مريم، لصاحبه: معين رفيق أحمد صالح.

2-مقرَّر مقياس الأسلوبية في السَّنة الثَّانية ماستر يحتاج أكثر إلى الدَراسة التَّطبيقية.

وفي النِّهاية أتقدَّم بالشُّكر الجزيل لأستاذنا الكريم الدكتور المشرف **حاج امحمد يحي بن بهون** الذي رافقني في مسار هذا البحث بنصح ثمين وصبر جميل وتواضع كبير، كما لا أنسى أن أسديَ جميل العرفان والثَّناء لكل **أساتذتنا الأكارم** بالمركز الجامعي غرداية في كلية الآداب واللغات، الذين أناروا دربي خلال مسيرتي الجامعية في مرحلة "الماستر"، كما أنّ شكري موصول لكلّ من أسهم بيدٍ بيضاء من قريب أو بعيد.

وأخيرا أرجو من وراء بحثي هذا كلّ الإفادة، وأن يكون لبنة جديدة ومرجعا في البحوث الجامعية المتميّزة في مجالها الأدبي والأسلوبي، وما ذلك على الله بعزيز، والله من وراء القصد وعليه توكّلي واعتمادي.

تمهيد

فنّ الخطابة، مفهومه ومساره التّاريخي إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر:

تعدّ الخطابة من أقدم الفنون النَّثرية عند العرب، وقد احتلت مكانة مرموقة، واكتست أهمّية بالغة في شحذ الهمم وإذكاء روح الإيمان في النفوس، وإظهار الحقّ وإعلائه، وإظهار الباطل ودحضه، فهي بذلك وسيلة من وسائل الاتّصال، وأسلوب من أساليب الدَّعوة والإرشاد.

1) <u>الخطبة لغة:</u>

من مادة: «(خطب) خطابا ومخاطبة: مراجعة الكلام. وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجَّع، ونحوه»[1].

2) <u>الخطبة اصطلاحا:</u>

قد وردت عدة تعاريف للخطبة ولعلّ أوضحها تعريف عماد علي سليم الشّيخ بقوله:«هي كلام يلقيه الشّيخ في جمهور يستمع إليه مشافهة، للإقناع أو الاستمالة»[2].

3)<u>فن الخطابة ومساره التّاريخي إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر:</u>

كان الخطيب في الجاهلية لسان قبيلته إذ أسعفته في ذلك البديهة الحاضرة واللغة الجزلة، والفصاحة والبلاغة التي تدفعه إلى الارتجال. ومن أمثلة الذين أجادوا في هذا الفن قسُّ بن ساعدة وسهيل بن عمرو، إلاّ أنَّ الكثير من خطب ذلك العصر لم تصل إلينا لعدم انتشار التَّدوين.

1- ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 2008م، مج1، ص: 280.

2-عماد علي سليم الشّيخ: في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط01، 2009م، 1430هـ، ص: 151.

وموضوعات الخطبة متعددة مرتبطة بما يريد الخطيب منها: الدِّينية والاجتماعية والسِّياسية والحربية[1].

وبعد ظهور الإسلام شهدت الخطابة تطوُّرا واضحا في أسلوبها ومحتواها؛ فأصبحت وسيلة الدُّعاة المفضلة، بل صارت شعيرة من شعائر بعض العبادات؛ كصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، إذ تقوم بدور ترسيخ العقيدة ونشر الدَّعوة، والتَّحريض على الجهاد. فقد كان الرسول ﷺ أخطب العرب قاطبة، ومن أشهر خطبه تلك الَّتي خطبها في حجة الوداع. وبالمثل كان الخلفاء الرَّاشدون خطباء مفوَّهين، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، من خلال خطبته حول الجهاد.

أما في العصر الأموي فقد اتَّسعت موضوعات الخطابة، وتعدَّدت أساليبها، فطغى على مضامينها الطَّابع الجاهلي القبلي، واتَّجه كثير من الخطباء إلى تمجيد الأحزاب السِّياسية، فتأجَّج بذلك الصِّراع بين الاتِّجاهات الدِّينية والسِّياسية المختلفة، مما أدَّى إلى خصوبة الميدان الخطابي، وذلك ما نجده جليًّا في خطب الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي وزياد بن أبيه...

استمرّ هذا الصِّراع الدِّيني والسِّياسي في العصر العباسي. وبتنوَّع الثَّقافة العربية وتعدُّد مشاربها، وانفتاحها على الثَّقافات الأخرى، تحوَّلت الخطابة إلى فن أدبي راقٍ منظم بعد أن كان مرتجلا. وبمرور الزَّمن قضى العبَّاسيون على تلك الصِّراعات نسبيا، فاتجه الخطباء إلى مجالات أخرى كالدِّين والوعظ والتّنويه بالخلفاء، ومن أبرز خطباء هذا العهد أبو العباس السَّفاح، وأبو جعفر المنصور.

أما في العصر العثماني فقد شهدت الخطابة ضعفا كسائر الفنون الأدبية الأخرى؛ إذ أصبحت أكثر ميلا إلى التَّقليد والرَّتابة منه إلى التَّطور والإبداع، واعتراها بذلك التكلُّف، وانحصرت موضوعاتها في المناسبات الدِّينية، فظلّ الخطباء يكرِّرون معاني السَّابقين. وفي العصر الحديث تجاوزت الخطابة وتيرة التَّقليد والرَّتابة. وهذا ما نلمسه في الخطابة الجزائرية مع ظهور" **الأمير عبد القادر**" وغيره، فتحرَّرت من قيود السَّجع

1- ينظر: عماد علي سليم الشّيخ: في الأدب الحديث ونقده، م س، ص: 151

والتكلُّف، ومالت إلى البساطة في التَّعبير والقصد في القول دون إطناب[1].

وقد ساعد على ذلك وجود الصِّراع بين الجزائر وفرنسا، فتمسَّك الخطباء بهذا اللَّون من النَّثر، واستغلوه في الدَّعوة إلى الجهاد، وبعث روح اليقظة في النُّفوس لإدراك خطورة الاستعمار. واستمرت على ذلك النّمط إلى غاية الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي، مع ما عرفته من الرُّكود خلال بعض الفترات. وما إن بزغ نجم الحركة الإصلاحية، حتى أخذت أفكار المصلحين تنتشر بفعل النَّوادي والجمعيات الثَّقافية، وانتشار الصِّحافة الوطنية، فتطورت الخطابة أسلوبا ومضمونا وموضوعا. وبعد أن أُنشئت "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" حمل الخطباء على عاتقهم الدَّعوة إلى مبادئها وأهدافها وأفكارها، ومن هؤلاء الخطباء المصلحين المشايخ: **عبد الحميد بن باديس**(ت:1359هـ/1940م)، **محمدالبشيرالإبراهيمي**(ت:1385هـ/1965م)، **الطيب العقبي**(ت:1379هـ/1960م)، **إبراهيم بيوض**(ت:1899هـ/1981م)،..وغيرهم. وقد حذا **الشّيخ محمد سعيد (كعباش)** حذو هؤلاء المصلحين في ميدان الخطابة.

إنَّ الحركة الإصلاحيّة بوادي مزاب قد اتَّضحت معالمها مع مطلع العشرينات بحكم العلاقة التي كانت تجمع بين الشّيخ عبد الحميد بن باديس وزعماء الحركة الإصلاحية بالمنطقة مما أدَّى إلى ظهور الجمعيات الخيرية المتجهة إلى التَّعليم وفق الأهداف الإصلاحية المشتركة، بالإضافة إلى ظهور الصُّحف العربيَّة. لذا تعدُّ فترة (1919م ـ1931م) فترةَ الدَّعوة إلى التَّعليم، وضرورة تعميمه ليفتح الآفاق المشرقة للمجتمع الجزائري، فتجسَّدت تلك الدَّعوة في فتح المدارس الحرَّة هنا وهناك. تتولَّى جمعياتٌ خيرية رعايتها وتسييرها تسييرا علميًّا ومادِّيًّا[2].

وكانت جهود الشّيخ الإصلاحية والتَّعليمية امتدادا للحركة الإصلاحية في الجزائر

1-ينظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت، ن)، ص:16

2-ينظر: محمد صالح ناصر، الشّيخ عبد الحميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي مزاب، مجلة الوعي الفكرية الثقافية الصادرة عن دار الوعي. الجزائر، العدد01 جويلية1431هـ/ 2010م، ص:23

من جهة ولمعهد الحياة وفكر الشّيخ بيوض من جهة أخرى؛ ولهذا فقد اتّخذ الشّيخ الإصلاح فكراً ومنهجاً ومبدأً مستعينا بفنِّ الخطابة الذي حذقه وتمرَّن عليه كوسيلة لتقويم الأخلاق وترسيخ العقيدة في النُّفوس، ونشر الصَّلاح في الوسط الاجتماعي.

وكان يعطي المناسبات الدِّينية والوطنية طابعها إذ يضفي عليها نفسا جديدا، ويستلهم من وقفاتها ومواقفها عبرا وعظات، فلا يفوِّت فرصة أو مناسبة إلا وذكَّر مجتمعه بما يجب عليه أو ينبهه إلى بعض الأمراض الاجتماعية دون تشاؤم أو تبرُّم، بل يقدِّم حلولا ممكنةً مستوحاة من تجاربه بالحكمة والموعظة الحسنة. ولهذا السّبب ولما تمتاز به خطبه من قيم أدبية وجمالية ارتأينا إخضاعها للمقاربة الأسلوبية.

المبحث الأول: الشّيخ محمد بن ابراهيم سعيد (كعباش)"خطيبا ".

من خلال كتابه "صرخات على مسرح المجتمع"

المطلب الأول: نبذة عن حياة الشّيخ، وتعريف بكتابه: "**صرخات على مسرح المجتمع**"

الفرع الأول: حياة الشّيخ محمد سعيد (كعباش) وآثاره

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بـ(كعباش)، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، من الجمهورية الجزائرية، وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد بكّة في بلدة العطف.

أخرجه الله تعالى من بطن أمه الطاهرة الكريمة، وأبصر نور الحياة خلال**1347هـ /1929م** في حضن أبوين كريمين: سعيد ابراهيم بن باحمد، وبهون شيخة بنت الحاج محمد. تركه والده فقيرا يتيما لا يزيد عمره عن سنتين، وليس معه إلّا أختان، توفيت إحداهما فأصبح وحيد أمّه وقرة عين لها، فاعتنت بتربيته على حب الله و رسوله وعلى حفظ كتاب الله في سن مبكرة، و قد وهبه الله ذاكرة قوية وذكاء لامعا، ولم يكن كُتّاب قريته ليُقنع طموحه في التعلم، وعلى **رأسهم شيخه الجليل الحاج إبراهيم محمد بن بهون**(ت:1951م)، [1] والذي ترك في نفس الشّيخ الأثر العظيم طول حياته؛ فارتحل إلى معهد الحياة بالقرارة[2] عند الإمام الشّيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر، حيث

1-ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، نشر مكتبة التوفيق العطف غرداية الجزائر، طبع: المطبعة العربية – غرداية 2016، (د، ط)، (د، ت، ن)، ص:441

2-إن معهد الحياة مشروع علمي وتربوي إسلامي عربي، نشأ في فترة الاستعمار الذي سعى لمحو كل معالم الشخصية الإسلامية والعربية لمنطقة وادي ميزاب. فكانت بمثابة نهضة إصلاحية في مختلف جوانبها الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية؛ غرس بذورها قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش . رحمه الله . وسقاها من بعده تلاميذه وأثمرت وبدا صلاحها في خريجي معهد الحياة على يد رائد النهضة في الجنوب الأستاذ الإمام بيوض الحاج إبراهيم بن عمر، المعاصر للإمام عبد الحميد بن باديس والمواكب لحركته ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. لقد أسّس المعهد بتوفيق من الله من أوّل يوم على تقوى من الله ورضوان، بصفة سرية يوم 28 شوال 1343هـ/21ماي 1925م. فكان هدفه الأسمى إصلاح المجتمع بتخريج رجال وطنيّين صالحين مصلحين فيهم الإمام والمرشد والعالم المفتي والباحث المحقق والشاعر والمربي المصلح...وكان شعاره:" الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد".

دامت دراسته فيه خمس سنوات(**من 1945-إلى 1950م**)، شمّر فيها الشّيخ عن ساعد الجد والمثابرة، وبرز فيها على كثير من زملائه الذين سبقوه إلى البعثة، وتحصل فيها على مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، من أساتذة ومشايخ أجلاء نذكر منهم: **ابسيس قاسم بن الحاج سعيد**(لم أعثر على ترجمته)، **إبراهيم بن عمر بيوض، سعيد بن بلحاج شريفي(الشّيخ عدون)** (ت:1425هـ/2004م)، **أدواد إبراهيم بن عمر**،(على قيد الحياة)، **محمد علي دبوز**(ت:1402هـ/1981م)،... وغيرهم، كما تكوّنت لديه ملكة لغوية وأدبية متميزة، بفعل نشاطه في المجالات الأدبية؛ من إسهامات في مجلة" الشباب" الخاصة بالمعهد أو من خلال الجمعيات الأدبية[1]... (يقول الشيخ محمد علي دبوز:" ولدت جريدة الشباب مع جمعية الشباب في سنة واحدة...وكل منهما يكمل الآخر، فالجمعية لتدريب الألسنة والجريدة لتمرين الأقلام". يؤكد الشيخ عدون على أن تأسيس الجريدة كان سنة 1926م). [2]

هذا ولم يروِ الشّيخ ظمأه من الاغتراف بالعلم الذي نهله من معين أعلام القرارة، شأنه شأن كل شاب طموح إلى المراتب العليا لنيل العلا؛ فسافر إلى تونس الخضراء – وفي الأسفار الفوائد الجمة، خاصة إذا كان لطلب العلم والعلا- رغم ظروفه الاجتماعية والأسرية والمادية الصعبة، لكنّ الألطاف الإلهية بعباده الأخيار لمن يصلح لأداء الأمانة وتبليغ الرسالة كانت فوق كل شيء، وكذا الإرادة والعزيمة القوية لدى الشّيخ ذلّلتا تلكم الظروف الصعبة، وإذا تعلقت همة المرء بالثريا فسينالها؛ حيث قضى في رحاب تونس الخضراء أربعَ سنوات (**من 1950-إلى 1954م**) درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني، على يد فطاحل علماء تونس[3] أمثال: **الشّيخ محمد الفاضل بن عاشور، والشّيخ محمد الزغواني**(وقد حَظي شيخنا بمرتبة إجازة في التفسير من هذين العَلَمين)، **الشّيخ**

1-ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، رحلة العمر، ط1: 1436-2015، نشر مكتبة التوفيق العطف غرداية الجزائر1436-2015، طيف للطباعة، ص:46-48. 62-63، 67،68

2- ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، ط1: 1432-2011، نشر جمعية التراث القرارة (الجزائر) 1432هـ-2011م، ص:156

3 - ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، رحلة العمر، م س، 62-63، 67،68

البشير النّيفر، الشّيخ محمد اللقاني، ...وغيرهم. وهناك في تونس صُقلت مواهب الشّيخ واتسعت مداركه ومعارفه وانفتحت على العالم آفاقه، وتزود من آليات العلوم الأدبية والشرعية ما يضمن له الاستزادة والتعمق فيها، وهي سلاحه في معترك الحياة وغِمار المسؤولية.

بدأ الشّيخ العمل في مجال التربية والتعليم أستاذاً ومديراً في القطاع الدّيني الحر بمدرسة النهضة بالعطف في فترة الاحتلال، ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني في مختلف المؤسسات التربوية والمجالس البلدية، حتى تقاعده عن العمل سنة **1990م.** قدّم فيها لأمته خدمات جليلة وتضحيات كبيرة، وطلابه وتلامذته الكثر يُعدّون بالمئات، سقاهم من غيث علمه وأدبه، وهم اليوم إمّا إطارات أكفّاء في عدّة إدارات ومناصب، وإمّا رجالا صلحاء مسهمين بكل ما يستطيعون من نفع في مجتمعاتهم، وكلّهم يشهد له بإخلاصه وتفانيه وإتقانه لمهمته.

انتسب إلى الجامعة الجزائرية في أوائل السبعينات فحصل على شهادة اللسانس في الأدب العربي، وانخرط عضوا رسميّا في حلقة العزابة للمسجد الجامع العتيقبالعطف سنة **1958م،** ثمّ عيّنته الحلقة إماماً ومرشداً سنة **1970م،** وهوما يزال يقوم بمهمّته النبيلة في الإصلاح الديني والاجتماعي نصحاً وإرشاداً وتجليةً لمعاني كتاب الله وسنة رسوله على منبر المسجد، بعد أن حدا بصفوف الأجيال على مقاعد الدراسة لما يقرب من **أربعين سنة** في مسيرة مهنية متواصلة مباركة.

وقد أسهم المؤلف بقسط وافر من التضحية والجهد في صفوف جبهة التحرير الوطني ويتشرف بعضوية منظمة المجاهدين دون منّ ولا غرور، وهو متزوج وأب لتسعة أولاد.

وقد حبى الله الشّيخ كعباش يدا جادّة مجتهدة في الكتابة والتأليف، حيث أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات عدة منها المطبوع ومنها المخطوط، وهي كالآتي:

-الأعمال المطبوعة:

- تفسير "**نفحات الرحمن في رياض القرآن**" في أربعة عشر مجلدا.

-**صوت المنبر** في ثلاثة أجزاء(هي مجموعة من خطب منبرية لصلاة الجمعة)

-**حديث الشّيخ الإمام** في جزأين(تخريج لدروس ألقاها الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض)

-**من أخلاق القرآن** في ثلاث حلقات:(صفات عباد الرحمن)، و(الوصايا العشر ووصايا لقمان)،(تفسير سورة الحجرات والمجادلة).

- **صرخات على مسرح المجتمع**(مجموعة خطب وأحاديث في عدة مناسبات)

-**مسابقة شهر رمضان**(مجموعة أسئلة مع الأجوبة النموذجية)

-**تاجنينت أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية.**

- **جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح**(تراجم لشخصيات إصلاحية في بلدة العطف.

-**شرح الصدور لتفسير سورة النور**

- **الدرّ النظيم في فعاليات التدشين والتكريم**(مجموعة الأحاديث والخطب التي قيلت في مناسبات التكريم أو التدشين لبعض المشاريع).

-**رحلة العمر** (ترجمة مفصلة لحياة الشّيخ)

ومن المخطوط:

-حديث يوم الخميس في شرح مسند الإمام الربيع بن حبيب.

-النّداء الرباني للمجتمع الإيماني(تفسير لما ورد في القرآن من نداءات" يا أيها الذين آمنوا").

-المجموعة السُّنّية من الرسائل الفنّية.

- القول الوثيق في زيارة البيت العتيق.

-خطرات ومواجد شاعر(مجموعة من القصائد الشعرية)[1]

1-ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:441-442

-مجموعة محاضرات: ألقاها المؤلف في عدة مناسبات.

-المذكرات اليومية(عبارة عن 25 سجلّ يضم ما يزيد عن 6000 صفحة).[1]

إضافة إلى ما تركه الشّيخ من تراث سمعي ومرئي كبير، زاخر وثري...

الفرع الثاني: التعريف بكتابه: "**صرخات على مسرح المجتمع**"

أ) **معلومات التوثيق والشكل الخارجي:**

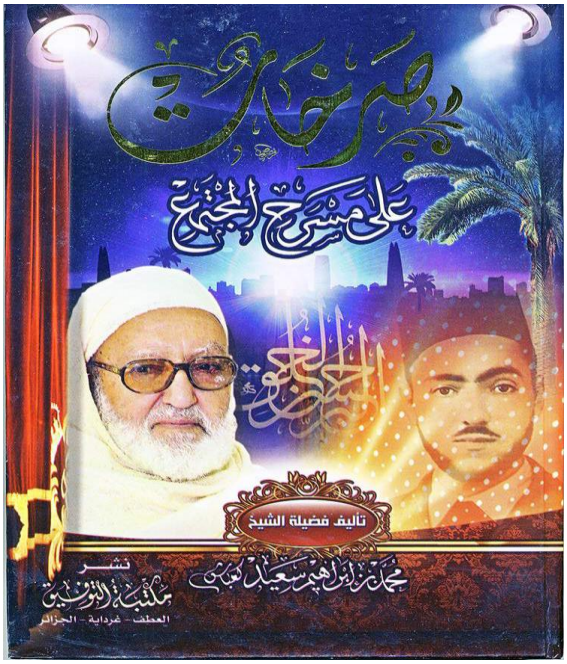

1- بصورة جذابة ملفتة الانتباه؛ ألمح على الغلاف الخارجي المجلد، وبرونق جميل أصيل مايلي:

-**عنوان الكتاب**: "**صرخات على مسرح المجتمع**" (بلونين وخطين مختلفين)

- **وفي وسط الصفحة**: صورتان مختلفتان للشيخ؛ عن اليمين صورة في ربيع عمره، وعن الشمال صورته الحديثة، وهذا لاشك من تمام فنيات أهل الاختصاص والإخراج.

- **أما إلى الأسفل**: أجد: "تأليف فضيلة الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش"

1- محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص: 442، 443

بالإضافة إلى دار النشر وهي: مكتبة التوفيق العطف غرداية الجزائر

2- وفي الواجهة الخلفية للمجلّد أجد: "**صرخات على مسرح المجتمع**"

حيث يقول المؤلف:«

- هي صرخات الربان في سفينة المجتمع، وهي تصارع الأنواء، وتغالب الأمواج.
- هي صرخة في وجوه أولائك الذين يريدون إحداث خرق في موضعهم من السفينة، بدعوى أنهم مساهمون، وأنّ لهم حرية التصرف في ما يملكون.
- هي صرخة الشعور بالمسؤولية، وإيقاظ الضمير،
- وهي بالتالي تحذير من مغبة المغامرة وسوء المصير، وليعلم الذين صدقوا أنهم هم الفائزون، وليعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[1]. المؤلف

ب) <u>فكرة عامة عن الكتاب مع شرح مبسط، وهدف المؤلف من تأليفه:</u>

- "مؤلف يحمل بين دفتيه عصارة جُهد فكري أدبي نفيس، لفترة زمنية مديدة من وحي قلم شيخنا، في مختلف محطّات حياته ومجالاتها مصحوبة بمواقف وعبر"
- المُطّلع على هذا المؤلف والمصدر النفيس بتمعن وتبصر وإنصاف، يجده حقّا وعاء يسقي الظمآن، الباحث عن الحقيقة والأمانة التاريخية، ممن كان شاهد عيان بل وكان الناطق الرسميّ أو المُتخذ للموقف والمحتوي للحدث، لأنه كما قيل:

"ليس من رأى كمن سمع " في مجموعة كلمات وخطب لمختلف المناسبات والمجالات(داخل المسجد العتيق بالعطف وخارجه). جادت بها قريحة شيخنا، وأملاه عليه مِحكّ الحياة، ومقامه العلمي ومنصبه الاجتماعي، وحسن تَولّيه للمسؤولية وشعوره بالأمانة الثقيلة الملقاة على عاتقه.

- أما عن هدف الشّيخ في تأليف كتابه هذا، فيذكر ذلك في مقدمته إذ يقول: «...وعند اختلال الموازين، وانقلاب المفاهيم واحتدام الصراعات تتأكد مسؤولية الدعاة إلى الخير المهتدين بهدي الله في النصح والإرشاد، والتذكير بتبعة الأمانة،

1-مجمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، صفحة المجلد

أمانة الدين والوطن، وهذا المجهود المتواضع يندرج في هذا القصد النبيل والغاية المثلى،...».

- **<u>قراءات على لفظة" صرخات"</u>:**

- "**صرخات**" أو صيحات على من كان له قلب أو ألقى السمع لها؛ تُعزّي وتُهنّيء، تُنذر وتُبشر، تأمر وتنهى، تُحلّ وتحرّم،... حسبه بها كما يقول في مقمته:« ....وهي تعبر عن رأي يجد له قناعة مكينة لدى شريحة كبرى من مجتمعنا المدني، أو تجسد موقفا تمليه الظروف المرحلية التي تعج بها الساحة الوطنية» .و يرجو أنها دوّت الساحة الاجتماعية في مختلف المناسبات.
- "**صرخات**" لا تنبع إلا من ذي قلب سليم رؤوف رحيم، يفيض بالأحاسيس والمشاعر يستغيث ويُغيث، ويخاف على مجتمعه –كما خاف الأنبياء والرسل والمصلحون على أقوامهم– العواقب الوخيمة من كل انحراف وفساد، والنذر الإلهية في اتباع الهوى والشيطان، لمن أصرّ وتمادى، أو استنكف واستكبر.
- "**صرخات**" تُصنف الناس في المجتمع وخمدتهم له إلى صنفين: صادق وكاذب، ورزين ومتهور، وأنانيّ ومؤثر غيره على نفسه...حيث أن العاقل واللبيب يجعل نفسه حيث يشاء، ويتحمّل عاقبة منزلته واختياره دنيا وأخرى.

<u>ج) بسط الفكرة العامة في أفكار جزئية:</u>

يبدو لي وأحسب أن هذه النقطة تتلخّص في تلك الأقسام التي قسّم بها الشّيخ كتابه؛ وقد تناولها في آخر مقدمته للكتاب حيث يقول:« ...ونظرا لتعدد المناسبات وتنوع المواقف فقد قسمت محتوى الكتاب إلى الأقسام التالية:

أ)–القسم الاجتماعي: ويحتوي على ست وأربعين خطبة؛ وهو يضم المواضيع الاجتماعية، دعوة إلى عمل خيري، أو إشادة بإنجازه، أو تنديدا بظاهرة غير منسجمة مع الأعراف والتقاليد المتعارف في المجتمع. نذكر من عناوينها: في تأبين الشّيخ البكري، يوم ألقيت عصا الترحال، في ليلة الهدى والنور، حفل التتويج للطلبة المستظهرين، الأبواب المفتوحة على النهضة، عند تكريمي بالولاية،...

ب)–القسم الثقافي: ويحتوي على أربعين خطبة؛ يخلد المهرجانات والنشاطات الثقافية بكل أنواعها، ويعرف بالهيئات التي قامت بها. نذكر من عناوينها: تكريم فضيلة

الشّيخ البكري، في مهرجان شاعر الثورة، عتاب ونصح، أهلا بأساطين التربية والتعليم، من أجلك يا شباب، حفل تكريم الشّيخ الدهمة،...

ج)- قسم المراثي والتعازي: ويحتوي على خمس وعشرين خطبة؛ يحفظ ما قيل في مراسيم الجنائز لشخصيات مرموقة محليا ووطنيا. نذكر من عناوينها: شيخ البلد في ذمة الله، وداعا أيها الشاب الهمام، شهيد الواجب الوطني، الشّيخ عدون في ذمة الله، البلبل الغرّيد يغيب عن الوجود...

د)-قسم التهاني: ويحتوي على اثنتي عشرة خطبة؛ إما في أعراس جماعية أو فردية أو لهيئة حققت خدمة نافعة للصالح العام. نذكر من عناوينها: عرس جماعي ممتاز، وفاء بحق الصحبة، في اللقاء التغافري بالعطف، ...

هـ)-القسم السياسي والإداري: ويحتوي على واحد وعشرين خطبة؛ يخص استقبال الشخصيات السياسية والإدارية محليا ووطنيا، كما يخلد أحداثا ذات طابع سياسي أو إداري. نذكر من عناوينها: في ظلّ التعددية الحزبية، النخبة المختارة، عيد النصر يعود، حفل استقبال وترحيب، ...

وتأتي بعد ذلك الخاتمة المؤطرة لكل المواضيع المقدمة -الّتي بلغ مجموعها أربعا وأربعين بعد المئة- كما تُنسق باقة الزهور أشكالها وألوانها في شكل بديع يسرّ الناظرين، ويُعزي بأريحية الدارسين. والله أسأل أن ينفع به الأجيال، ويوفّقنا جميعا بخير العقبى وخير المآل» . [1]

<u>المطلب الثاني:</u> فنّ الخطابة وتجلّياته عند الشّيخ محمد سعيد (كعباش)

<u>الفرع الأول</u>: أسسُ فنِّ الخطابة وسماته الفنية

يتناول هذا الفرع أسسَ ذلك الأنموذج من الخطبة العربية الأصيلة؛ البليغة في لفظها ومعناها، والقائمة على أسس من أصول وأركان وغيرها، والمتميزة بسماتها وأبعادها وعادات العرب فيها؛ لتكون كمنوال تُقاس عليه وتحذو كلّ خطبة عربية، عبر مسار العصور الأدبية الإسلامية، بما فيها من التغيرات التي تقتضيها طبيعة كلّ عصر ومصر.

1 - مجمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:07، 08، 09

1-في العصر الجاهلي:

- بادئ ذي بدء لابد أن نُسلّم أنَّ الخطابة لم تكن ظاهرة كلاميَّة حديثة العهد في حياة الإنسان، ولكنَّها أصيلة عميقة الجذور، تضرب في أعماق الماضي السحيق حتى تصل إلى ذلك الخطاب الإلهي الجليل الذي وجَّهه الله عز وجل إلى ملائكته حيث قال: (وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [سورة البقرة/30]. والذي وجَّهه إلى البشر وهم في عالم الذرِّ حيث قال:(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [سورة الأعراف/172].

ولمّا تسلَّم رسل الله مهمّاتهم في تبليغ دعواتهم، كانت الخطابة الوسيلة الرئيسة التي اتخذوها مطيَّة لإعلام الناس ما نُزِّل إليهم وتوضيح معالم أديانهم وشرائع ربِّهم.

- يعود الفضل الأول في إرساء الخطابة واستنباط فنونها إلى اليونانيين قبل الميلاد، ويعود اهتمام اليونانيين بالخطابة لارتباطها بطبيعة الحياة اليونانية التي غلبت عليها المجادلات الفلسفية والسياسية، وشيوع حالة الحرية الفردية والتعبير عن الرأي.

وقد جاء في كتاب "الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم" لحنا الفاخوري:

«الخطابة الجاهلية خطابة شعب بدائيّ يحتفل بالمظاهر والحركات والنبرات الصوتية، تتّسم بكثير من ألوان هدل الشفاه، والتقعير والتمطيط، والجهورة، والتفخيم في الصوت.

- العربيّ خطيب من طبيعته، تأتيه الخطابة عفوا...فهي كالشعر لسان الدفاع عن القوم.
- قِوامها اللغة العربية وهي أداة قوية وغنية بالأصوات؛ تتسم في أنها تدفع إلى التماس الأنغام الإيقاعية والجمل القصيرة. أو على العكس إلى الإطناب الذي يزيد حشو الكلام من قيمته،...
- لخطابة الجاهليين أسلوبان هامّان **أحدهما يتخذ العقل دليلا** ويركبُ مركبَ الحجة المقنعة، فيعمد إلى التفصيل والتعليل وإبراز الشواهد والأدلة، ويعتمد العبارة الموجزة والحِكم الوافرة...وذلك كله من غير ما لجوء إلى سجع موفور، أو بديع منشور.

- أما الأسلوب الثاني فيتخذ **العاطفة وسيلة للإقناع** فيعتمد العبارات القصيرة، والسجع الموسيقيّ، والتشبيه والاستعارة والصور الشديدة الوقع،...» [1]
- ومن عاداتهم فيها الوقوف على نشز من الأرض أو القيام على ظهر دابة، ورفع اليد ووضعها، والاستعانة على العبارة بالإشارة، واتخاذ المخاصر بأيديهم؛ والاعتماد على الصفاح والرماح أو الإشارة بها.[2]
- من الأهمية بمكان –ونحن في هذه الأسس والسّمات لفن الخطابة– أن نورد نموذج خطبة في هذا العصر، نلمس من خلاله تطبيقا عمليا للخطبة الأدبية الجاهلية، من أولئك الفطاحل وأرباب اللغة، الذين يعدون المثال الذي يحتذى في كل خطبة–كما أسلفنا– فقد قال من خطبته في سوق عكاظ:(وهو قسّ بن ساعدة الإيادي: كان يؤمن بالله ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة).

«أيها الناس! اسمعوا وعُوا، إنّه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، ...يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول آجالا؟ طحنهم الدهر بكَلْكله، ومزّقهم بتطاوله». فقد كان أسلوبه مطبوعا مسجوعا، شديد الروعة، متخير اللفظ، قصير الفواصل. يعمد فيه إلى ضرب الأمثال واستنتاج العبر من مصارع الطغاة وظواهر الكون. [3]

2–في العصر الإسلامي، وابتداء من عهد الرسولﷺ والخلفاء الراشدين:

أبقى الإسلام على بعض أنواع الخُطب في الجاهليَّة بعد أنّ هذّبها ونقّاها من شوائب الصفات والمعتقدات، وصبغها بصبغته، وأضاف إليها أنواعاً جديدة. وأسسها هي تلك الموروثة من العصر الجاهلي، لكن مع ما يتّسم ويتلاءم وتعاليمَ روح الدين الإسلامي القيّم؛ نذكر منها:

1– ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ط1 1986، دار الجيل، (د، ت، ن)، ص:115–119

2– ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، 1416هـ –1995م، (د، ط)، دار المعرفة، ص:19

3– م ن، ص: 20

❖ قوام فنّ الخطابة أصول ثلاثة: الشّيخ، والخطبة ثم الجمهور المتلقي، أمّا بُنية الخطبة وشكلها الخارجي فهي تتدرج بين أركان ثلاثة؛ مقدمة فعرض ثم خاتمة.

وقد جاء في كتاب " الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم" لحنا الفاخوري :«

❖ خطابة عقيدة وانفتاح، حفلت بالتقوى والنزعة الإنسانية.

❖ تضمنت روحا تنظيمية تشريعية واتسمت بسمة البلاغة الحقة التي أضفاها عليها القرآن.

❖ اكتسبت من الفلسفة الدينية الجديدة **عمقا وسموا**.

❖ السحر القرآني: الذي انسكب على المعاني والألفاظ، فربط الأفكار وسَلسلَ المعاني وأحكم البناء إحكام تأثير وإقناع.

❖ النزعة إلى التفصيل، وإطالة العبارة، والخروج عن سنة الجاهليين في التقطيع والتوثّب.

❖ اعتماد ضروب من التحسين والتحبير، وألوان من الترغيب والترهيب. والانصراف في بعض الأحيان إلى الموسيقى الصوتية التي ترافق المعنى، سواء أكان ذلك بالأسجاع أم بضروب من التقطيع.

وبناء على هذا فإن الخطابة في هذا العهد تتلخص أهمّ مُقوّماتها في: قوة عبارة، ومتانة سبك، ضروب من التحسين والتحبير، موسيقى صوتية، نزعة إلى التفصيل، حرارة عقيدة، عمق وسمو. [1]

وجملة القول أن ليس في عصور اللغة عصرٌ زَهَا بالخطابة وحفِل بالخطباء كهذا العصر لانصراف العرب عن الشعر إليها، واعتمادهم في الدين والسياسة.[2]

فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام أخطب العرب قاطبة، ومن أشهر خطبه تلك الَّتي خطبها في حجة الوداع؛ حيث أنه أتى وادي عرنة وقد اجتمع الناس حوله فقام خطيبا، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، وتشهّد، وأوصى بتقوى الله، ثم قال فيما قال:« أيّها الناس! اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، إن

1-ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدي القديم، م س، ص:335، 338

2- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدي العربي للمدارس الثانوية والعليا، م س، ص:128

دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا،...وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله،...».[1] ومن خلال هذا الجزء من خطبة خير البريّة نستشف من مُعلم البشرية وإمام المتقين تجلّيات لأسس الخطبة العربية في فجر الإسلام؛ منها:

- مقدمة فنية وبصبغة دينية، وبحكمة في الاستهلال؛ حمدلة، وثناء على الله تعالى، وتوصية بالتقوى–جوهر الإيمان وأساسه، وسبيل السعادة والنجاة–
- عرض للموضوع بإيجاز ودقة في حرارة عقيدة، وفي عمق وسمو؛ كالتذكير بحرمات الله، أو التذكير بعظمة كتاب الله وقيمته في الاعتصام والاهتداء به...
- سمات بلاغة بارزة مع متانة سبك؛ كالمزج بين أساليب إنشائية وإخبارية، وضروب بديع، مع صور بيانية فنية؛ وتكرار للنداء بقصد لفت الانتباه والتشويق، سجع تلقائي يحسن الكلام ويوصل الفكرة بطريقة فنية جميلة.
- تهدف إلى تربية الأمة وغرس القيم الأخلاقية والدينية الصحيحة، والتي تضمن وحدة المسلمين وسعادتهم دنيا وأخرى.

<u>الفرع الثاني</u>: تجلّيات فنّ الخطابة في عيّنات من خطب الشّيخ محمد سعيد (كعباش)

في المستهلّ لابد من القول إنّ الخطابة أو فن الإلقاء موهبة عظيمة ونعمة كبيرة، ولئن سبق اليونانُ العربَ والمسلمين إلى وضع نظم وأصول هذا الفن، فقد فاق العرب الأقدمون أُمم الدنيا في حسن الخطابة وروعة الأداء، وهذا لما تميزت به اللغة العربية – لغة القرآن الكريم– من أسرار في بُناها ومعانيها، وبلاغتها ونظامها وقوانينها، والتأثير الفعّال على نفوس مُتلقيها واستمالتهم.

وبالرغم من تطور وسائل الاتصال الجماهيري وتنوع أشكالها في العصر الحديث، لم تفقد الخطابة رونقها بل ازدادت أهميةً لقدرة وسائل الاتصال الجديدة من أجهزة التلفاز والمذياع المرتبطة بالأقمار الصناعية من تعميم الخطاب على عدد هائل من

1– المباركفوري، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، ط6: 1430، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (د، ت، ن)، ص:346–347

سكان المعمورة. والخطابة اليوم، خصوصاً الخطابة السياسية والدينية تُعد من أكثر أنواع الخطابة تأثيراً في الجماهير.

وخطب الشّيخ كعباش تُعدّ من تلك الخطب في العصر الحديث، والّتي خدمت مجالات عدّة منها مجالين أساسيين(الدين والمجتمع) في مختلف الأزمنة والأمكنة، فأسهمت في بثّ الوعي ونشر الكلمة الطيبة في نفوس أفراد مجتمعه، وحتّى إلى أرجاء الوطن وأقطار الأمة، من خلال أمواج الأثير ووسائل الإعلام، وهذا لما ينبغي أن يُعلم من الدّين بالضرورة.

وهذه نماذج أجزاء من تلكم الخطب التي اخترناها من كتابه "**صرخات على مسرح المجتمع**"، نُبرز من خلالها تجليات لأسس فنّ الخطابة وسماتها الفنية:

<u>الخطبة الأولى</u>: بعنوان: " في الانتخابات الرئاسية لسنة 1999م "

ممّا جاء فيها:

أخي العزيز، بوتفليقة عبد العزيز، حفظكم الله ورعاكم ووفّقكم في مسعاكم سلاما وتحيّة مباركة طّيبة وبعد:

فيُشرّفني باسمي وباسم الهيئة الدينية لمدينة العطف أن أُعبر لكم عن خالص تمنياتنا وصادق عواطفنا نحو شخصكم الكريم بمناسبة زيارتكم التاريخية لبلدتنا الطيّبة فأقول:

على الرّحب حلّوا أجمعين على الرحب نزلتم كراما في حمى الله والشعب
طلعتم علينا كالكواكب في الدّجـــــى وسرتم إلينا كالسّحائب في الجدب
...

أيّها الأخ الكريم: نحن العزابة القائمون على بيوت الله نشيم في طلعتكم بوارق الفرج القريب لشعبنا المُعنّى لما نلمسه في برنامجكم الطموح من صدق التوجّه، وواقعية الطرح، ودقة التحليل، وأنكم –كما أعلنتم– لا تملكون العصمة والقداسة في ما تسعون إليه، وتلك هي الشهادة المثلى لنصاعة الإيمان،...

وفي مثل هذه الأوضاع المتردية لابدّ من تطبيق الحكمة القائلة: "يزع الله بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن" فإذا ما مكّن الله لكم من هذه السلطة–وأنتم بالغوها بإذن الله– فرجاؤنا

فيكم وطيد أن تُجدّدو لهذا الدين حرمته وهيبته في النفوس، بترقية بيوت الله وصون منابرها من الأصوات النّابية، ومن الإمّعات...

أيها الأخ الكريم، دعواتنا الصالحة لكم بالتوفيق والنجاح هي سندنا لكم في مسعاكم العظيم، ...فعند الحفيظة والجدّ يُختبر معدن الرجال، شرح الله صدركم، ويسر أمركم...إنه مولانا ذو العزة والجلال والسلام عليكم ورحمة الله.

عن إذن العزابة: محمد سعيد كعباش[1]

<u>من تجلّيات أسس فن الخطابة وسماتها الفنية في أجزاء هذه الخطبة</u>:

1. الشّيخ يقف كالطود الشامخ، بلسان المجتمع بكلّ هيئاته وأعيانه وأطيافه في هذه الوقفة التاريخية والخطبة السياسية، يوم الثلاثاء 13 ذوالحجة1419هـ الموافق ليوم 30مارس 1999م. ليوجّه بهذه الرّسالة إلى فخامة رئيس الجمهورية.
2. تضمنت أصول الخطابة؛ من خطيب (رشّحته الهيئة الدينية العليا في البلد لذلك)، وخطبة (بمختلف أركانها)، وجمهور متلقي (وهو المُستقبل لفخامة رئيس الجمهورية بحفاوة بالغة).
3. تضمنت أركان الخطابة؛ من مقدمة ترحيبية،(تنمّ عن مختلف مشاعر التقدير والامتنان والتبجيل، والتفاؤل بالخير العميم على الولاية والوطن بهذا القدوم المبارك...)، وعرض للموضوع (حول إعجاب الشّيخ ببرنامج الرئيس الطموح في هذا الحدث التاريخي السياسي الكبير–الانتخابات الرئاسية التي ستعيشها الجزائر يوم 15 أفريل 1999م. وكل الآمال معلقة لأحسن التغييرات والإصلاحات، في مختلف الأصعدة والمستويات، وطبعا بالتعاون والشورى وتكثيف الجهود...، وخصّ القطاع الديني ومنبر المسجد، بإسناده لمن هو أهل له–كما أشار الشّيخ–)، وأخيرا كانت الخاتمة (بالدعاء الصالح وعن ظهر الغيب، في أن يكلل الله المساعي الخالصة بالنجاح...).
4. خطابة عقيدة وانفتاح، حفلت بالتقوى والنزعة الإنسانية؛ تجلّى ذلك بدعاء خير في مستهل المقدمة، لمن بيده زمام الأمور–فخامة الرئيس– ثم في الخاتمة، أن يرزقه الله

1– ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:412–413

بطانة صالحة صادقة، تُعينه على الخير وتدلّه عليه، وفي العرض نلمس مختلف معاني تعاليم الدين والسياسة الشرعية؛ من حسن الثقة، وتفاؤل الخير، والمرجعية للدين والمسجد، والتحاكم إلى السلطة،...

5. ومن مقوماتها: قوة عبارة، ومتانة سبك، ضروب من التحسين والتحبير، موسيقى صوتية، طرح أفكار بعمق وسمو؛ من ذلك:« أخي العزيز، بوتفليقة عبد العزيز،...، أيّها الأخ الكريم،... نشيم في طلعتكم بوارق الفرج القريب لشعبنا المُعنّى،... بترقية بيوت الله وصون منابرها من الأصوات النّابية، ومن الإمّعات،... فعند الحفيظة والجدّ يُختبر معدن الرجال،.. »(وتفصيل هذا أكثر سنراه في مبحث المقاربة الأسلوبية).

الخطبة الثانية:[1] **بعنوان: " في مهرجان شاعر الثورة "**

ممّا جاء فيها:

نحمدك اللهم يا من خلقت الإنسان وعلّمته البيان، وألهمته رشده بإنزال القرءان، ونصلّي ونسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد –ص–، هدانا للإيمان، وأنقذنا من ظلمات الجهل، وحرّرنا من البغي والطغيان،...

باسم السلطات المحلية لمدينة العطف، وهيئاتها الاجتماعية، وجماهيرها الشعبية، أرحب بكم في هذه القرية الوديعة، وفي هذه المؤسسة الفتية، وحماة ثقافته الأصيلة، ورواد فكره المتفتح الطموح، فانزلوا على الرحب والسعة، وتربّعوا على عرش القلوب فإنّها في غمرة من الزهو والفرح لطلعتكم الميمونة، وفي رفرف من اليمن والسعد لمقدمكم الكريم.

بسطنا لكم منّا قلوبا وأعينا فدوسوا عليها لا تدوسوا على التّرب
وقمنا وللآذان منّا إصاخة إليكم فـــهاتوا من حـــديثكم الـــعذب

...

1– كلمات استهل بها الشّيخ هذا المهرجان المنظم من فرع الشبيبة الجزائرية لبني يزقن في أسبوعه الثقافي التاسع، حيث خُصص يوم الجمعة 2صفر 1408هـ/ 25سبتمبر 1987م للعطفاء، وبالتحديد في المدرسة الأساسية بالعطف وكان الشّيخ مديرا لها. حضره جمع غفير وفي طليعته إطارات من السلطات المحلية والوطنية...

هذا الشاعر الفحل الذي أقرّ بعبقريته المشرقَان، وغنّت بأشعاره جماهيرنا من شيوخ وشباب وولدان، إذ صاغ قصائده بذوب مهجته تشع نارا ونورا، وهو يحدو بها ركب الوطنية منذ انطلاقته في العشرينيات حتى الثورة التحريرية العارمة، ثم واكب ثورة البناء والتشييد، وتوّج أعماله الفنية بإلياذته الخالدة التي تُعتبر بحقّ نموذجا رائعا في الشعر الملحمي، قَصُر عن شأوه شعراؤنا القدامى والمحدثون. فحسبه اليوم شرفا وفخرا أن يستقطب اهتمامات كثير من الدارسين والباحثين في المشرق والمغرب، وأن يُلقّب عن جدارة بشاعر الثورة والنضال.

...

إنّ الجزائر في الغرام وتونسا والمغرب الأقصى خلقن سواء

ثمّ في أمانيه الجامحة لكل ما يُحقق العزة والكرامة للوطن الإسلامي الأكبر. لقد وهب حياته لهذه المبادئ السّامية والناس عنه معرضون والمخذولون منه يضحكون، فلم يثن من عزمه ذلك، إيمانا منه أن الحقائق باقية وإن غشيت عنه البصائر، وأن التاريخ ينفي عنه الزيف كما تنفي الخبث النار. فيا شاعر الخلد، نم قرير العين إلى جوار ربّك، فإن الجيل الذي حدوت به في المُلمات لا يسلمك أبدا، وإنّ الوطن الذي شدوت به في الفخر والمكرمات لا يخفر لك عهدا، ولا يضيع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا. والسلام عليكم ورحمة الله، والحمد لله رب العالمين.[1]

<u>من تجليات أسُس فن الخطابة وسماتها الفنية في أجزاء هذه الخطبة</u>:

1. الشّيخ المدير في مناسبة عزيزة، يكون هو المستقبِل للوفود الكريمة السامية المحلية والوطنية في مؤسسته؛ ليكون خير مُمثّل وسفير –بحكم منصبه ومنزلته العلمية ومقامه الاجتماعي– فيستهلّ فعاليات الحفل بكلماته الطيبة التاريخية، يُدلي فيها بشهادات حقّ لبطل من أبطال الجزائر إبان الثورة ومنطقة مزاب خصوصا، حيث يشهد بذلك القريب والبعيد، العدو والصديق.

[1] – ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:159–160

2. تضمّنت أصول الخطابة؛ من خطيب (رشّحه لذلك فرع الشبيبة الجزائرية لبني يزقن، وبِحُكم منصبه ومقامه الاجتماعي)، وخطبة (بمختلف أركانها)، وجمهور متلقي (تلك الوفود التي استقبلها الشّيخ).
3. تضمنت أركان الخطابة؛ من مقدمة ترحيبية وبصبغة دينية وأدبية،(تفيض بمختلف مشاعر الود والامتنان والتقدير، والتفاؤل بالخير العميم على الولاية والوطن بهذا القدوم المبارك...)، وعرض للموضوع (حول منزلة شاعر الثورة في وطنه وخارجه، لما أنجزه وتركه من بصمات تشع نارا ونورا عند القدامى والمحثين)، وأخيرا كانت الخاتمة (إشادة بتلك المبادئ السامية العربية التي كان يعمل الشاعر من أجلها في الوطن الإسلامي الأكبر، وبدعاء صالح وعن ظهر الغيب، في أن يكون قرير العين في مثواه، فشعبه الوفيّ لن يخذله فيما بناه وشيّده...).
4. خطابة عقيدة وانفتاح، حفلت بالتقوى والنزعة الإنسانية؛ تجلّى ذلك في طبيعة هذه الخطبة الأدبية الدينية والتارخية في البدء والعرض والختام؛ من خلال حمد الله تعالى والثناء عليه، والتصلية على النبيّ ﷺ وعلى آله وصحابته، ثم تحية وإشادة وتنويه؛ بكل إنصاف وأمانة لأعمال الرجال وتثمين لجهودهم، تجاه شاعر الثورة والنضال، وشهيد الوطن...
5. ومن مقوّماتها: قوة عبارة، ومتانة سبك، ضروب من التحسين والتحبير، موسيقى صوتية، طرح أفكار بعمق وسمو؛ من ذلك: « ...خلقت الإنسان وعلّمته البيان... ، فانزلوا على الرحب والسعة، وتربّعوا على عرش القلوب،... هذا الشاعر الفحل الذي أقرّ بعبقريته المشرقان،... قَصُر عن شأوه شعراؤنا القدامى والمحدثون،... ثمّ في أمانيه الجامحة لكل ما يُحقق العزة والكرامة للوطن الإسلامي الأكبر،... لا يخفر لك عهدا، ولا يضيع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا... » (وتفصيل هذا أكثر، سنراه في مبحث المقاربة الأسلوبية).

الخطبة الثالثة: بعنوان: في مؤتمر "لا إله إلا الله" 1433هـ-2012م

ممّا جاء فيها:

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، نحمده تعالى على نعمة الحياة، وعلى نعمة الصّحّة، وعلى نعمة الهداية، ونشكره أن متّعنا بالعيش في قرية مطمئنة آمنة، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ سيدنا محمدا ﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من اتّبع هداهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فيا أيّتها الأمّهات المؤمنات الطاهرات، ويا أيتها الأخوات الفضليات، والبنات الواعيات المثقفات، السلام عليكنّ جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته.

يشرفني أن أهنّئكن على إتمام لقاءاتكن المباركة لمؤتمرات: "**لا إله إلا الله**" والتي تُتوّج اليوم في بلدتنا الطيّبة بهذا اللقاء المبارك الذي نرجو من ورائه الخير الكثير لمجتمعنا الفاضل بما يتمّ فيه من التوجيهات والإرشادات الهادفة المخلصة التي تهفو لها النفوس وتنشرح لها القلوب:(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[سورة فصلت/33] .

...

أيّتها الأخوات المؤمنات، إنّ خير ما نتواصى به في هذه الفترة العصيبة التي يعيشها مجتمعنا، وقد أصبح في بحبوحة من العيش الرغيد والرفاهية المفرطة بما فتح الله عليه من الأرزاق، وبما أغدق عليه من أنواع النّعم حتى أتخمت البطون، واحتدمت الرغبات والشهوات وكدنا ننتهي إلى حد البطر والترف، وما يتولّد عن ذلك من ظواهر خطيرة على مصير المجتمع.

والمرأة أمام هذه الانحرافات هي المسؤولة في المقام الأول في دار زوجها كما حدّث بذلك رسول الله، وكان من جملة تنبؤاته ﷺ في ما يحدث لأمّته في آخر الزمان أنه قال:(سيأتي زمان يكون ضياع دين المرء على يد أهله)، فقالوا كيف ذلك يا رسول الله؟، فقال: (يكلفونه مالا يطيق فيدخل مداخل يضيع فيها دينه) أو كما قال.

فلنتب إلى الله جميعا –أيّها المؤمنون– ممّا نحن عليه من الإسراف والتبذير، ولنحذر من الوقوع في حبائل الشيطان كما حذرنا من ذلك ربّنا إذ قال:(وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) [الإسراء:26-27]. فإن لم

نتعظ بكلام الله وهو أصدق الحديث فلا أقل من أن نتعظ بغيرنا، ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار.

فاللهم قنا نوائب الزمان، ومكايد الشيطان، وسطوات السلطان، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا ولا بما كسبت أيدينا...[1].

<u>من تجليات أسُس فن الخطابة وسماتها الفنية في أجزاء هذه الخطبة:</u>

1. الشّيخ في مناسبة اجتماعية عزيزة، ولفتة طيّبة تجاه المجتمع النسوي–حيث لم يَغفل حقه ولم يبخس فضله– ليقف بجانبه كالأب الحنون والأم الرؤوم، ويستغل الفرصة ويُسهم كعادته في التوجيه والإرشاد والإصلاح، في هذا التجمع الدوري السنوي للنساء والفتيات من مختلف قصور الوادي. مؤتمر يرفع راية التوحيد في تسميته، وأَعظِمْ بها من تسمية مُعبرة عن مختلف تعاليم الدين وأسراره وقضاياه؛ بما يُعرض فيه ويناقش ويتوصل إليه، حيث يتمّ التناصح والتذكير والتحذير،... بواجبات المرأة وحقوقها والمسؤولية الملقاة على عاتقهن، وما استجد من قضايا على الساحة الاجتماعية، وما ينبغي أن يُتّخذ من حلول وعلاج أو وقاية مستقبلا...
2. تضمنت أصول الخطابة؛ من خطيب (كان في هذه الخطبة بالنيابة من ابنة الشّيخ، لتنسجم وتتلاءم وجنس الجمهور المتلقّي للخطبة؛ وأحسب هذه الخصوصية مُهمّة وذات بعد، إذا علم الشّيخ المُحنّك بحكمة ذلك وفائدته، في تبليغ رسالة خطبته بوجه أحسن وأفضل ممن ينوبه وتوفرت فيه الأهلية، لذا كان من الشّيخ والأب الكريم أن رشّح ابنته في أكثر من مرة، وفي مثل تلك المناسبات والتجمعات النسوية الطيّبة، ولا شك أن الشّيخ قد تفرّس فيها –وهي فلذة كبده–علامات التأهل لمثل تلك المهمة النبيلة الشريفة)، وخطبة (بمختلف أركانها)، وجمهور متلقي (تلك الوفود من النساء والفتيات من مختلف قرى الوادي).
3. تضمنت أركان الخطابة؛ من مقدمة ترحيبية وبصبغة دينية وأدبية،(تفيض بمختلف مشاعر الامتنان والتقدير، والتهنئة بتمام أعمال المؤتمر الكريم، بعد جولاته الطيبة في القرى، ثم انتهاء إلى أمّ القرى حيث وصوله إلى آخر محطة، والخير العميم من مختلف

[1] – ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:128–130

النعم الظاهرة والباطنة...وكانت المقدمة مناسبة وملائمة لما سيأتي في عرض موضوع الخطبة)، وعرض للموضوع (حول قيمة النعم الظاهرة والباطنة التي نسبح فيها، إلى حدّ الترف والبدخ، وخطر ذلك المحدق إن لم نستعملها في ما يرضي الله تعالى، وقد ظهرت بوادر ذلك من البعض، فالحذر من استدراج الله للعصاة، وما يُخطّطه أعوان إبليس...)، وأخيرا كانت الخاتمة (بدعوة الجميع للمسارعة إلى التوبة النصوح من كل ذنب وتقصير، والحذر من نزغات الشيطان، ورجاء من الله ليكرمنا بالبلد الآمن ورغد العيش وتمام الصحة ...).

4. السحر القرآني؛ هذه الميزة التي نجدها تضفي معظم خطب الشّيخ وخاصة الدينية منها، كيف لا؟ وقد تشرّب الشّيخ معين القرآن الكريم وسنة الحبيب المصطفى منذ نعومة أظفاره، حيث كانت أمّه الحبيبة الطاهرة الحريصة تبعثه إلى الكتاتيب لينشأ على حب الله ورسوله وحفظ كلامهما، مما صبغ ذلك قلبه وفكره ووجدانه، وظهر جليّا في خطبه وأساليبه، فأنعم بها من ميزة ونعمة، وأكرم به من فضل إلهي عليه.
5. هذا السّحر القرآني الذي انسكب على المعاني والألفاظ في هذه الخطبة؛ بتلك الشواهد القرآنية الستّة المناسبة، في موضوع العيش الرغيد بين النعمة والنقمة! حيث أضفى الشّيخ تلك الشواهد في ثنايا الخطبة؛ ليُحكم بها الألفاظ والمعاني والأفكار والأحكام ثم يُسلسلها، لتتوضح في ذهن المستمع ويتقبلها وتؤثر فيه، وينقاد ويستجيب، فالقرآن الكريم أعظم واعظ.
6. **ومن أسُسها:** قوة عبارة، ومتانة سبك، ضروب من التحسين والتحبير، موسيقى صوتية، طرح أفكار بعمق وسمو؛ من ذلك: « ...أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة...، واحتدمت الرغبات والشهوات...، ولنحذر من الوقوع في حبائل الشيطان،... ومكايد الشيطان، وسطوات السلطان،... » (وتفصيل هذا أكثر، سنراه في مبحث المقاربة الأسلوبية).

خلاصة واستنتاجات من هذا المبحث:

بعد هذا العرض الوجيز والإطلالة الخفيفة لما جاء من محتويات ومضامين متنوّعة حول هذا المبحث بمطلبيه، فأظنّ أنه من تمام المنهجية أن نُتوّجه ببعض الاستنتاجات والعبر، كخلاصة أرجو بها الإفادة العملية أكثر، لكلّ قارئ أو باحث:

1. تعدّ الخطابة من أقدم الفنون النَّثرية عند العرب، وقد شهدت تطورا بارزا أسلوبا ومضمونا في مسار العصور الأدبية؛ دفعت بعجلة الأدب والأدباء والنُقاد نحو الأرقى في خدمة الإنسان والمجتمعات الإنسانية في مختلف مجالات الحياة الفكرية، السياسية، الدينية،...
2. "الخطابة الجاهلية" هي خطابة شعب بدائيّ يحتفل بالمظاهر والحركات والنبرات الصوتية، ويحاول الإقناع عن طريق التأثير العاطفي.
3. ازدهرت الخطابة في العصر الإسلاميّ ازدهارا شديدا، لتوافر عواملها وشدة الحاجة إليها؛ فالعهد عهد صراع فكريّ وصراع سياسيّ.
4. تعدّ الخطابة الإسلامية اللبنةُ الأساسية والمرجعية الأولى في أسلوبها ومواضيعها وأبعادها، لمختلف العصور الأدبية اللاحقة بعدها.
5. نشِطت الخطابة في العصر الحديث بسبب ما ابتُليت به كثير من البلاد الإسلامية باجتياح أوروبي لها، فيما عُرف بالاستدمار، وقد هبّت تلك البلاد لمقاومته بكل ما تستطيع، من وسائل معنوية أدبية (بفن الخطابة وخطبائها مثلا) ومادّية؛ حتى كُلِّلت مجهوداتها بالظفر بالاستقلال، وما خبر جزائرنا الحبيبة التي قدّمت مليونا ونصف مليون من أبنائها عنّا ببعيد – نسأل الله أن يتقبّلهم في الشهداء –
6. نشطت الخطابة في وطننا الجزائري، بفعل دعوات إصلاحية، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتُحارب البدع، والمادّية الجارفة، وتعمل للتمكين لدين الله في الأرض؛ من خلال بزوغ نجم الحركة الإصلاحية على رأس أولائك الخطباء المصلحين المشايخ: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، أحمد

توفيق المدني، الشّيخ بيوض إبراهيم... وغيرهم. وقد حذا شيخنا **محمد سعيد كعباش** حذو هؤلاء المصلحين في ميدان الخطابة.

7. كانت جهود الشّيخ كعباش الإصلاحية والتَّعليمية امتدادا للحركة الإصلاحية في الجزائر من جهة ولمعهد الحياة وفكر الشّيخ بيوض من جهة أخرى؛ ولهذا فقد اتّخذ الشّيخ الإصلاح فكراً ومنهجاً ومبدأً، مستعينا بفنِّ الخطابة الذي حذقه الشّيخ وتمرَّن عليه كوسيلة لتقويم الأخلاق وتهذيب الطِّباع وترسيخ العقيدة في النُّفوس، ونشر الوعي والصَّلاح في الوسط الاجتماعي.
8. للكتاتيب وللمؤسسات التربوية والجامعات الدينية دور كبير في إمداد الخَطابة برجالها وخطبائها، وهذا ما لمسناه في المسيرة المباركة التَّعلُّمية عند الشّيخ كعباش؛ تمثّلت في تدرجه بين كتاتيب مسجد أبي سالم بالعطف، إلى رحاب مشايخ معهد الحياة بالقرارة، وانتهاء تحت ظلال علماء جامع الزيتونة الفطاحل في تونس.
9. أسهمت المحافل والأندية والمجلّات الأدبية(الشباب والرقيب بمعهد الحياة) وما يشبهها، في بزوغ نجم الخَطابة، وعُلوّ صوتها، لدى شيخنا؛ وما يدور فيها من مدح أو تهنئة، أو تأبين، أو إثارة قضايا دينية، واجتماعية، وسياسية، ونحوها.
10. يعد شيخنا الثمرة اليانعة من العلماء والدعاة إلى الله الذي تخرّجوا بأهلية واستحقاق بشهادة من مشايخه؛ لأنه لم يكن يدرس للشهادات فحسب، بل كان هدفه أبعد وأسمى في خدمة أمته والإسلام بما منّ الله عليه من علوم ومعارف جمة وتجارب، يصبو بها إلى إصلاح مجتمعه والذود عنه، رفعا للمشعل وحملا للأمانة وتبليغها إلى الأجيال.
11. شمّر شيخنا على ساعد الجد والعمل الدؤوب في خدمة الإسلام والدعوة إلى تعاليمه، وإعداد الدعاة الذين يقومون بواجب الدعوة والوعظ والإرشاد، والتعليم الديني.
12. يعدّ كتاب "**صرخات على مسرح المجتمع**" النموذج الراقي الأدبي، من مؤلفات الشّيخ كعباش في المقاربة لفن الخطابة؛ من خلال ما لمسته من تجليات في أسس فن الخطابة وسمات فنية، في تلكم النماذج من الخطب الثلاثة المختارة؛ نذكر منها: السّحر القرآني، أصول الخطبة وأركانها، متانة السّبك وقوة العبارة،...

المبحث الثاني:

مقاربة أسلوبية لفنّ الخطابة عند الشّيخ محمد سعيد كعباش

(ثلاثُ عيّنات لخطب من كتابه "**صرخات على مسرح المجتمع**")

الأسلوبية منهج نقديّ لساني تقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية، لاستخلاص أهمّ العناصر المُكوّنة لأدبيّة الأدب إذ تجعل منطلقها الأساس النّص الأدبي فالأسلوبية تنطلق من النص لتصُبّ في النص أو كما يقال: قراءة النّص بالنّص.

ومن هذا المنطلق الأساس، تأتي هذه المقاربة الأسلوبية في هذا المبحث الجوهري، والتي أَجريتها على كتاب "**صرخات على مسرح المجتمع**". حاولت فيها جهدي حصر بعض الظّواهر الأسلوبية **الغالبة** وفق المستويات الثلاثة: الإفرادية والتركيبية والدّلالية. من خلال الخّطب الثلاث الّتي اختيرت في المبحث السابق، على أن أُفرد لكلّ خطبة مستوى من مستويات الأسلوبية–على سبيل المثال لا الحصر، ولأجل التركيز والتدقيق عليه– قصد التنوّع الأدبي والموضوعي بأكثر من خطبة، وبالتّالي التّعرف على مدى خصوبة الإنتاج الأدبيّ وثرائه لدى الشّيخ محمد سعيد كعباش، تلك المستويات كان لها الدور القويّ في إبراز القيم الفنية والجمالية والإيحائية للعمل الأدبيّ، وإخراجها من قراءة تقليدية جامدة تقف عند حدود التّلفظ بها، إلى قراءة حقيقيّة تبعث في القارئ المُتعة والجمال والفائدة، ثمّ التأثير والتأثّر.

ومما لا شك فيه–كما أسلفنا–أنّ الدراسة الأسلوبية في منهجيّتها تُركّز على الظّواهر الفنية التي تتكرر بعفوية من مُنتجِها ومُبدعها دون تكلف أو صنعة؛ فهذه سمة للخطيب المدرةِ المنطيقِ في نسج خُطبه، حيث يكون لها الأثر اللافت في البناء اللغوي لنسيج النصّ.

المطلب الأول: المستوى الإفرادي(للظَّواهر الصَّوتية والصَّرفية)

الخطبة الأولى بعنوان: " في الانتخابات الرئاسية لسنة 1999م"

أخي العزيز، بوتفليقة عبد العزيز، حفظكم الله ورعاكم ووفّقكم في مسعاكم سلاما وتحيّة مباركة طّيبة وبعد:

فيُشرّفني باسمي وباسم الهيئة الدّينية لمدينة العطف أن أُعبّر لكم عن خالص تمنيّاتنا وصادق عواطفنا نحو شخصكم الكريم بمناسبة زيارتكم التّاريخية لبلدتنا الطيّبة فأقول:

على الرّحب حلّوا أجمعين على الرحب نزلتم كراما في حمى الله والشعب

طلعتم علينا كالكواكب في الدّجـــــى وسرتم إلينا كالسّحائب في الجدب

أخي الكريم عبد العزيز، إذا كنتم تعتزّون أن تكونوا اسما على مسمى عبدا للعزيز الجبّار –وذلك روح الإيمان– فأنتم سيد كريم وَصفِيّ ودود في نفوس إخوة لكم أبرارا، وقد هزّهم الشوق إلى لقياكم، واشرأبت أعناقهم إلى مرءاكم، والأرواح جنود مجندة كما قال رسول الله –ص– فها هي مدينة الألف عام قد ألقت بفلذات أكبادها لتحتضنكم وأنتم منها في السويداء، كما احتضنت من قبل فخامة الرئيس زروال وهو نعم الرائد، وأنتم اليوم من بعده نعم الوافد، ولعل الحظّ السعيد يلزُكّما في قرن واحد. والعطف كما شهد لها التاريخ هي أم القرى، والأمّ بطبعها الحنون، لا تجفو ولا تخون، فلا عجب أن تقرّ بكم وأنتم الابن البارّ، والأمل الباسم الذي خبّأته الأقدار، لينطلق في ضمير الشعب مُبدّدا ظلمة الشكّ والاحتيار، ومُسدّدا خطاه لحسن الانتقاء والاختيار.

أيّها الأخ الكريم، نحن العزابة القائمون على بيوت الله نشيم في طلعتكم بوارق الفرج القريب لشعبنا المُعنّى لما نلمسه في برنامجكم الطموح من صدق التوجّه، وواقعية الطرح، ودقة التحليل، وأنكم –كما أعلنتم– لا تملكون العصمة والقداسة في ما تسعون إليه، وتلك هي الشهادة المثلى لنصاعة الإيمان، والاستمساك بالعروة الوثقى كما أمر الرحمن، ولنا الشرف العظيم أننا نرابط في بيوت الله، ونحدو بموكب المؤمنين على نهج كتاب الله وسنة رسول الله، حفاظا على مُقوّمات شخصيتنا، وتنشئة لأجيالنا على كرم الأخلاق وحميد الخصال. غير أن الانفتاح على مقتضيات العصر، ومواكبة التطور العلميّ والتكنولوجيّ مع مواجهة التحديات المنجرة من ذلك، كلّ ذلك قد أخذ يفرز

نتوءات خطيرة في مجتمعنا، ويعرضه لهزّات عنيفة تزلّ فيها الأقدام وتطيش الأحلام، سيما في طبقة الشباب، وهم عماد الوطن والدّين وحصنهما الحصين.

وفي مثل هذه الأوضاع المُتردّية لابدّ من تطبيق الحكمة القائلة: "يزع الله بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن" فإذا ما مكّن الله لكم من هذه السلطة–وأنتم بالغوها بإذن الله– فرجاؤنا فيكم وطيد أن تُجدّدوا لهذا الدّين حرمته وهيبته في النفوس، بترقية بيوت الله وصون منابرها من الأصوات النّابية، ومن الإمّعات الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشية. فما أوتينا في جزائرنا الحبيبة إلا من هذا الثغر الحسّاس الذي يُوليه شعبنا المسلم كلّ احترام وتقدير.

أيّها الأخ الكريم، دعواتنا الصّالحة لكم بالتوفيق والنجاح هي سندنا لكم في مسعاكم العظيم، أخذ الله بأيديكم وسخّر لكم قلوب خلقه للائتلاف حول شخصكم الكريم وبرنامجكم الطموح، وأن يَمُنّ عليكم ببطانة صدق وإخلاص من رفاقكم ومؤازريكم على درب الكفاح والنّضال، فعند الحفيظة والجدّ يُختبر معدن الرجال، شرح الله صدركم، ويسر أمركم، وكلأكم بالرعاية والحفظ في الحلّ والترحال، إنّه مولانا ذو العزة والجلال والسلام عليكم ورحمة الله.[1] عن إذن العزابة: محمد سعيد كعباش.

<u>الفرع الأول</u>: الظّواهر الصَّوتية

يعدُّ الصوت ركنا هامّا من أركان إدراك جمالية اللغة وأسرارها، إذ نلمس ذلك حين قراءتنا لحروفها واستنطاقنا لها، فنُحسّ حينئذ بنغمات تُحيلنا إلى مدلولات، فالظّاهرة الصوتية في الدراسة الأسلوبية تُعنى بإبراز صفات تلك الحروف، وما لها من أثر صوتي ومعنوي رفيع، حين اختراقنا لها وتَجلية المعاني الكامنة فيها. وقد حاولنا من خلال خطب الشّيخ حصر البعض منها نوردها فيما يلي:

<u>أولا</u>: الجهر والهمس

يتشّكل ملمحا الجهر والهمس في أوّل مراحل التكوّن الصوتي؛ ومردّ هاتين الصفتين إلى حركة الأوتار الصوتية وتذبذبهما باهتزاز منتظم وبشكل قوي أو ليِّن،

1 – محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:412–413

بحيث يُحدث نغما موسيقيا. وهذا الملمح ألمسه يتشكل في مقدمة الخطبة **(من:** " **أخي العزيز، ...إلى:** " **كالسّحائب في الجدب)** في ذلك المزج البديع للشيخ بين كلامه المنثور والمنظوم في البيتين. بحيث لا تكاد تخلو لفظة منهما، إلا أن السمة الغالبة في ذلك هو ملمح الأصوات المجهورة. وهذا استنادا **لإحصاء** أجريته في تعداد أصوات هاتين الصفتين في المقدمة.

فالجهر هو قُوّة التصويت والإفصاح بالحرف، لقوّة الاعتماد عليه في المخرج حتى انحبس النفس ولتذبذب الوترين الصوتيين واهتزازهما. وحروفه تجمع في عبارة "**عظُم وزن قارئ ذي غض جدّ طلب**"، أمّا الهمس فهو ضعف التصويت بالحرف حتى جرى النفس معه، ولعدم تذبذب الوترين الصوتيين واهتزازهما لضعف الاعتماد عليه في المخرج.[1] وممّا أفاده **الجهر** في **المقدمة: الفرحة والاستبشار**. وكذا ممّا أفاده **الهمس: الطمأنينة والسكينة؛** أمّا عن **الفرحة والاستبشار** بأصوات جهرية فهذا مناسب لها، فطبيعة الفرحة تحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقة الإسماع، بفرحة تغمر الجميع لقدوم ميمون لأعلى شخصية في هرم البلد، واستبشارا بما سيُحققه الرئيس من خير ونفع في برنامجه الطموح للبلاد والعباد. وأمّا عن **الطمأنينة والسكينة** بأصوات الهمس، حيث أن طبيعتها الليونة بين المُلقي والمتلقّي، فيتجلّى ذلك حسّا في إيجاد جوٍّ من الراحة والتقريب والأنس والحزن أحيانا بينهما. ومن الألفاظ الدالة على أصوات الجهر والهمس حول: الفرحة والاستبشار، أو الطمأنينة والسكينة في مقدمة الخطبة: " **أُعبّر، خالص، عواطفنا، الرّحب، كراما، حمى الله، طلعتم ، كالكواكب في الدجى ، كالسّحائب في الجدب...**"

وبذا يبدو النشاط الصوتي في تفاعل بين الصوت والمعنى.[2] ومن الإعجاز

1-ينظر: سليمان بن عيسى باكلي، التلاوة الصحيحة قراءة الإمام نافع روايتا قالون وورش من طريق الشاطبية، ط2، 1428هـ-2007م، ثريا، ج1، ص:232.

2-مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د.خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2006، ص:09

الصوتي في الأصوات الجهرية، صوت **حرف الميم الصامت والصائت.**

فمن البيان العربيّ والإعجاز اللّغوي الصوتي في هذه الخطبة ما لمسته في مستهلها من براعة شيخنا في حسن توظيفه **حرف الميم** بتكرار بارز؛ هذا الحرف العربيّ الجميل المتميّز بنغمه وموسيقاه العذبة، وبمخرجين محقّقين شفوي وأنفي، وبصفات مُميزة وأخرى مُحسّنة؛ نذكر منها أن الميم من أصوات الحروف البينية – بين الشِّدة والرَّخاوة– على نحو ما ورد في قول الشّيخ في مقدمة الخطبة: «...حفظكم الله ورعاكم ووفّقكم في مسعاكم سلاما وتحيّة مباركة طّيبة وبعد: فيُشرّفني باسمي وباسم الهيئة الدّينية لمدينة العطف أن أُعبر لكم عن خالص تمنياتنا وصادق عواطفنا نحو شخصكم الكريم بمناسبة زيارتكم التاريخية لبلدتنا الطيّبة فأقول:...»

ممّا يدل على حال الشّيخ والشعور الفياض الذي يملأ قلبه بالتقدير والإعجاب الذي يُكنّه تجاه هذا القدوم الطيّب لفخامة رئيس الجمهورية، حيث لاتحظى بزيارته الجماهير إلا في مناسبات قلما تتكّرر. أمّا عن صفة **البينيّة للميم**، وكأنّي بشيخنا بين فرحة كبرى تغمره وبين عدم تصديق لهذا القدوم الناذر(قدوم البدر في الليلة الظلماء). وللميم كذلك صفة أخرى مُحسّنة هي الغنة؛ ذلك الصوت الرخيم الجميل الذي يصدر من التجويف الأنفي، فهو مُناسب للمقام، بما سيوجده في الألفاظ والمعاني من جرس موسيقي وأثر على نفوس مستمعيه، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية ووفده، والجماهير الّتي سوف تزدان به أكثر حين تحفّ الرئيس وتستقبله بأشكال من الغُنن والزغاريد والهُتافات والطبول... وممّا زاد الميم طلاوة وحلاوة وتأثيرا في نفس فخامة الرئيس ووفده ورودها على **صيغة الجمع** في بعض الألفاظ والتراكيب؛ في مثل قول الشّيخ: «...**حفظكم الله ورعاكم ووفّـقكم في مسعاكم،... نحو شخصكم الكريم بمناسبة زيارتكم،... نزلتم، طلعتم، وسرتم،.. .**» تلك السّمة النحوية التي تحمل دلالات معجمية وصوتية؛ فأمّا المعجمية فإنّها توحي بإنزال شخص واحد في مقام جماعة، وهذا لما يُكنه المُتكلم –وهو الشّيخ مع مقامه– من توقير وإجلال وتقدير وتواضع لمن يخاطبه، وهذا من الأدب الرفيع العالي الذي لا شك أنّه تعلمه من كلام الله عز وجل في القرآن الكريم، ومما تعلّمه من مشايخه حيث ينبغي أن يكون ذلك الأدب في حضرة توقير الكبار من العلماء والسادة والسلاطين وغيرهم من أولي الأمر. أمّا الدلالة

الصوتية بغنة الميم ونبرتها ونغمها الموسيقي العذب فتُوحي بتلك الأحاسيس والمشاعر الطيبة التي يريد أن يُبادلها الشّيخ مع الوفد الرئاسي.

هذا وإنّ للميم –كما لكلّ حرف عربيّ– صفاتا قوية وأخرى ضعيفة، ولايتسع المقال للتفصيل في هذا كله، بل هو من مجال علم الأصوات. فعلى سبيل المثال نذكر أنّ لحرف الميم صفاتا قويّة هي **الجهر والغنة**، وأمّا الضعيفة فهي التوسط أو البينية والاستفال والانفتاح والإذلاق.

<u>ثانيا</u>: التفخيم والترقيق

الترقييق الصوتي في مقابل التفخيم، ملمح بديع عذب في علم الأصوات، له دلالاته الإيحائية بمختلف المعاني والأحاسيس، وهو ما يتجلّى في المقطع الأول من عَرض موضوع الخطبة (**من: "أخي الكريم عبد العزيز، إذا كنتم...إلى:" لحسن الانتقاء والاختيار**)؛ فالصوت المفخم سواء تفخيما كُليّا (ويُعرف بصفة الإطباق) أو جزئيا (ويعرف بصفة الاستعلاء) ناتج عن حركة اللسان من أقصاه فقط أو من أقصاه ووسطه إلى الحنك الأعلى فيرتفع الصوت معه ويُفخّم الحرف، وحروفه هي: (**خُصّ ضغط قظ**). وتظهر في ألفاظه كلُّ معاني القوة والتمكّن والتعظيم، وهذا بعكس ما نجده في الصوت المُرقّق حيث يستفل اللسان وينفتح الفم وينفرج وترِقّ أصواته، ويكتسب الكلام رقة ولينا مع **واحد وعشرين** حرفا؛ فقد وردت **الأصوات المُرققة** في معظم ألفاظ كلام الشّيخ في **المقطع الأول** من موضوع الخطبة، في مزج بديع بظهور الأصوات **المُفخّة العالية** باللسان إلى الحنك الأعلى من لفظة لأخرى، تجعل الشّيخ يعلو بها ويسمو إلى مقامه – مقام المشيخة والحكمة – ومن الملامح التي يوحي بها الصوت المُرقّق في هذا المقام: " **تذكير بالخصال الحميدة** أو **بالسمعة الطيبة** "، " **التودد وشوق اللقاء**"، "**تمنّي تحقيق الآمال وإجلاء الآلام**"؛ ويتجلّى ذلك في مثل هذه التراكيب:

« **أخي الكريم عبد العزيز،... عبدا للعزيز الجبار،... فأنتم سيد كريم وَصفِيّ ودود،... هزهم الشوق إلى لقياكم،... والأرواح جنود مجندة،... ألقت بفلذات أكبادها لتحتضنكم،... السويداء،... نعم الوافد،... والأمّ بطبعها الحنون لا تجفو ولا**

تخون،... الابن البارّ، والأمل الباسم،... مُبدّدا ظلمة الشكّ والاحتيار،... ومُسدّدا خطاه لحسن الانتقاء والاختيار، نشيم في طلعتكم بوارق الفرج القريب،...لما نلمسه في برنامجكم الطموح من صدق التوجّه، ...».

<u>ثالثا</u>: الأصوات الانفجارية(أصوات الشدة)

ومن تمام الإعجاز الصوتي في البيان العربي، أنّنا نلمس في تراكيب أجزاء الخطبة المتبقية صبغة المزج بين تلك الأصوات المفخمة تارة مع أصوات الشدة الانفجارية؛ هذه الأصوات التي تُوقظ السمع وتُذكي الفكر في حروف تجمعها الكلمتان:" **أجدت طبقك**" حيث ينحبس الصوت في مخرج كل حرف منها ثم ينطلق مع اندفاع الهواء، وهذا لقوة الاعتماد عليه؛ قلت تلك الصبغة التي لا تكاد تخلو منها لفظة، لتَكسيها حُلة البهاء اللفظي في الجرس الموسيقي القويّ والمعنويّ؛ حيث أن المقام يستدعي ذلك في كون أنّ الشّيخ –وكملمح عام في مناسبة هذه الخطبة السياسية– ومن حسن نظرته الثاقبة إلى الظروف الاجتماعية والسياسية وتدبيره للمواقف، يقف في صدد تشخيص الواقع المحلي والوطني، بُغية الخروج والوصول إلى شاطئ البر والأمّان في تحقيق علاجات وانتصارات في مختلف المجالات، من خلال ما يُمليه له إيمانه من بصيرة في قضايا عصره، وتُمليه له حنكته وفراسته في قضايا المجتمع والسياسة، فتظهر تلك **الأصوات لحروف التفخيم في ثنايا الحروف الانفجارية،** لتُفجّر تلكم الخلجات والمشاعر في جُمل موجزة موحية، مسجوعة تارة ودون سجع تارة أخرى، لتُعرب وتفصح عمّا يختلج في صدر الشّيخ من أصداء تجاه مجتمعه ووطنه، تحمل في طيّاتها كل **روح الوطنية والإباء، وحبّ الخير** لأبناء جلدته، بكل **تفاؤل** وأمل ودون **يأس**؛ ويتجلّى ذلك في هذه التراكيب: « **القائمون** على بيوت الله،.. **بوارق الفرج القريب،... برنامجكم** الطموح من **صدق، وواقعية** الطرح، و**دقة** التحليل،... لا تملكون **العصمة والقداسة،...، مقتضيات العصر**،... تزلّ فيها **الأقدام وتطيش** الأحلام،... **عماد** الوطن والدّين،... الأوضاع **المُتردّية،... بالغوها بإذن** الله،... **بترقية بيوت** الله،...».

هذا وإن أردت أن أُدقّق أكثر فإنّ للأصوات الانفجارية بعض الدلالات الخاصة بها، نذكر منها: "**إظهار الانفعال النفسي، التنبيه والتذكير، الأمل بالفرج** "...؛ أمّا عن "الانفعال النفسي" فقد ظهر جليّا بتكرار وتتابع الصوت المهموز الذي هو من أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها، فمخرجها من **أقصى الحلق** وبتذبذب الأوتار الصوتية، وهو **أقرب** إلى الانفعال النفسي، فلنتأمله في هذا التركيب:« **فأنتم سيد كريم وَصفِيّ ودود في نفوس إخوة لكم أبرارا، وقد هزهم الشوق إلى لقياكم، واشرأبت أعناقهم إلى مرءاكم، والأرواح جنود مجندة**» .

حيث ارتبط ذلك الانفعال بوصف طيّب متتابع لمقام رئيس الجمهورية، ينمّ عن إعجاب كبير من الشّيخ على لسان قومه، وإكبار وحسن الثقة، مصحوب بالمودة والصفاء والإخاء من صميم الفؤاد وبلسان كلّ الإخوان. أمّا عن "التنبيه والتذكير" الذي هو أيضا من ملامح الصوت الانفجاري؛ فإن الإنسان مهما كانت منزلته وسلطته، يحتاج إلى من يُنبهه ويُذكّره ويشدّ أزره، لضُعف حيلته وافتقاره إلى مولاه، خاصّة من المسؤولين الذين بيدهم زمام الأمور ومسؤولين عن الرعية ورعايتها، فكيف كانت الحكمة الأدبية في كلام الشّيخ ليُنبه الرئيس ويذكّره؟ وما العبارات اللائقة التي وظفها؟ حيث ظهر فيها **الصوت الانفجاري:**« غير أن الانفتاح على مقتضيات العصر، ومواكبة التطور العلميّ والتكنولوجيّ مع مواجهة التحديات المنجرّة من ذلك، كل ذلك قد أخذ يفرز نتوءات خطيرة في مجتمعنا، ويُعرضه لهزات عنيفة تزلّ فيها الأقدام وتطيش الأحلام، سيما في طبقة الشباب، وهم عماد الوطن والدّين وحصنهما الحصين.» .

ومن تمام الحكمة الأدبية في أدب الحكمة نلمح ملمح " **الأمل بالفرج**" بين الرعية والراعي ليتمّ التواصل والتعاون في إصلاح العباد والبلاد فإنّ الشّيخ أدلى بدلوه ببعض الخواطر والوصايا الغالية، في آخر الخطبة وقبل الختام حيث همس بها في أذن الرئيس المحترم، بمختلف أصوات الهمس، في مزج رائع مع بعض الأصوات الانفجارية المُدوّية، والمُفخمة علّها تلقى منه أُذنا صاغية وقلبا واعيا، ومن خلاله إلى كلّ المسؤولين في مختلف الأصعدة، فالجميع في سفينة واحدة؛ لنستمع إليه بإمعان، مُتأمّلين أصوات حروف الهمس **والانفجار خصوصا** والتفخيم وما تعمله من عمل في نفس المتلقّين :« ...وفي مثل هذه الأوضاع المُتردّية لابدّ من تطبيق الحكمة القائلة:

"يزع الله بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن" فإذا ما مكّن الله لكم من هذه السلطة–وأنتم بالغوها بإذن الله– فرجاؤنا فيكم وطيد أن تُجدّدوا لهذا الدّين حرمته وهيبته في النفوس، بترقية بيوت الله وصون منابرها من الأصوات النّابية،...».

رابعا: أصوات المد واللين

وختاما لهذه المقاربة الأسلوبية الصّوتية، نستشف ظاهرة أصوات المد واللين في **مقدمة الخطبة وخاتمتها**، وهي:

ففي **المقدّمة** نستشف تتابع ألفاظ تشتمل على أصوات المد، بمختلف الصوائت إن للكسرة مع الياء أو للضمة مع الواو أو للفتحة مع الألف؛ ويتجلى ذلك في هذه الألفاظ: « العـزيــز، عبد العـزيـز، ورعـاكم، مسعـاكم سلاما، فيُشرّفــني باسمي، خالص تمنيــاتنا وصادق عواطفنا،...» فقد منحت الكثير من **الوضوح والإبانة** في كلام الشّيخ–وخاصة حركة الفتحة الطويلة– لكونها **أظهر الأصوات وضوحا** في لسان العرب، بالإضافة إلى أنها أشاعت جوا موسيقيا عذبا، ذات إيقاع هادئ ورخيّ، يفيض إحساسا بالأمان والاطمئنان إلى جناب رئيس الجمهورية، وفي جو من السكون والهدوء.

أما في الخاتمة (من "**أيّها الأخ الكريم،... إلى:"والسلام عليكم ورحمة الله)**؛ نلمح تكرار أصوات حروف المد واللين – مرة أخرى كما لمسناها في المقدمة – وأثر ذلك في المعنى ومساهمته في توصيله للسامع، حيث لا تخلو من أسرار معنوية وتصورية[1] فنية.فقد اجتمعت عدة أصوات فيها المد في الكلمات:« أيها الأخ الكريم، دعواتنا الصالحة لكم بالتوفيق والنجاح هي سندنا لكم في مسعاكم العظيم، أخذ الله بأيديكم وسخّر لكم قلوب خلقه للائتلاف حول شخصكم الكريم وبرنامجكم الطموح، وأن يَمُنّ عليكم ببطانة صدق وإخلاص من رفاقكم ومؤازريكم على درب الكفاح والنّضال، فعند الحفيظة والجدّ يُختبر معدن الرجال، شرح الله صدركم، ويسر أمركم، وكلأكم بالرعاية والحفظ في الحلّ والترحال، إنه مولانا ذو العزة والجلال والسلام عليكم ورحمة الله.» .

1– مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 32

ثلاثون صوتا من أصوات المدّ بالألف والواو والياء؛ والسّياق الذي أتت فيه هذه الأصوات **نداء ودعاء إلى الله**، وهو من سمات خاتمة الخطبة الإسلامية، حيث يستدعي إطالة الصوت لتذوق حلاوة المناجاة، فمن أدب الدعاء "**المناجاة والتضرع والانكسار والتذلل للمولى عز وجل**"، ولا يتأتّى ذلك إلا بهذا المطّ، والمُشعر بالليونة والتواضع إلى الملك العلّام؛ فهو الركن الشديد للمسلم مهما كانت قوته ونفوذه، فلا بد له من الفرار والاحتماء بربّ الأسباب وميسر الأمور.

كما تبدو ظاهرة أخرى أسلوبية لها علاقة بأصوات المدّ، وهي أنّ الذي أدى بالشّيخ في الإكثار من أصوات المطّ، **حذف أداة النداء** في أدعيته وابتهالاته، حيث "تَحمّل المنادي قيمتها بالضغط والمط والتطويل"[1]

إضافة إلى هذا كُلّه فإنّي ألمح مسحة جمالية أخرى في دعاء الشّيخ، عند اقتران معظم ألفاظه بميم الإنزال منزل الإجلال والتوقير لفخامة الرئيس، حيث أضفت تلك الميم بتنغيمها ونبرة غنتها كل معاني التقدير والاحترام؛ ويتجلى ذلك: «دعواتنا الصالحة لكم بالتوفيق والنجاح هي سندنا لكم في مسعاكم العظيم، أخذ الله بأيديكم وسخّر لكم قلوب خلقه...»

الفرع الثاني: الظّواهر الصَّرفية

بالإضافة إلى الظّواهر الصَّوتية في المستوى الإفرادي الأسلوبي فإن للظَّاهرة الصَّرفية دلالتَها لفظا ومعنى. ومن الصعوبة بمكان الفصل بين مستويات الدراسة الأسلوبية؛ فكلّ واحد منها مكمّل للآخر بخصوصياته وسماته، وربّما يتشوّه العمل الأدبي إن فصلنا بين تلك المستويات، ويفقده ملامح الوحدة الضرورية لنجاحه، وبالتالي نجاح الدراسة النقدية له. لذا كان لزاما الربط بين المستويات اللغوية والتدرج بينها.[2]

1- أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط1، القاهرة، دار غريب 2006، ص:100

2 - ينظر: مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 56.

فإنّ المعاني الوظيفيّة للصيغ الصرفية تكون متصوَّرة في الذهن قبل النطق بالصِّيغ، وهي تختلف بين تصورها في حالة التركيب عنها في حالة الإفراد[1].

فقد اهتمّ العلماء بالوقوف على طبيعة العلاقة بين اللّفظ بهيئته الصرفية، وصيغته والمعنى، فلفظ الصيغة يتجلى أثرها في إضفاء جمالية من حيث سلاسة اللفظ وسهولة النطق به. كما أن معرفة ميزان البُنى يمدُّنا بدلالات تُفضي بنا إلى إيجاد الانسجام المحقَّق بين اللفظ والمعنى.

والمستوى الصرفي يُعنى أساسا بدراسة بُنى الأسماء وبُنى الأفعال، من خلال تصريفهما بالميزان الصرفي القائم على أصول ثلاث عند كثرة الدارسين؛ الفاء والعين واللام. تُقاس بها حروف كل كلمة مع هذه الأصول دون إهمال لتماثل الحركات والسكنات؛ وهذا لمعرفة الحروف الأصلية من الزائدة أو المحذوفة أو المُحوّلة. وكذا للحكم على طبيعة بُنى النص الأدبي أهو ذو طبيعة في الأسماء أي المشتقات، أم في الأفعال بمختلف أزمنتها وتقسيماتها، وأثر تلك البُنى الاسمية أو الفعلية على دلالات النص الظّاهرة والباطنة.

وانطلاقا من هذا وباستغلال تقنيات الحاسوب، في طريقة الترميز بالألوان لمختلف المشتقات والمصادر(اسم الفاعل، اسم المفعول، اسما الزمان والمكان، مصادر الأفعال، المصدران الميمي والصناعي،...) للكشف عن طبيعة الخطبة المدروسة، فقد بدت الكثافة أكثر في لون "**اسم الفاعل** " ولون" **مصادر الأفعال المجردّة والمزيدة**"؛ ما يجعلني أحكم على طبيعة الخطبة في البُنى الاسمية، ثم بأقلّ القليل في البنى الفعلية. مع في البنى الاسمية من **الفاعلية** من خلال عمل اسم الفاعل عموما، أو الفاعلية كذلك في المصادر؛ وبالتالي في خطبتنا هذه ازدواجية رائعة بين **الاسمية** من جهة والدالة على **الثبات واللزوم**، وبين **الفعلية** من جهة أخرى والدالة على **التغير والحدوث والتجدد**. فهذه السمة العامة للأسلوبية الصرفية في هذه الخطبة في ملمحها العام، والتي تنمّ عن البراعة الأدبية لدى الشيخ؛

---

1 – ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العربية صيدا بيروت، (د، ط)، 1423هـ/ 2002م، ص: 39.

أ) اسم الفاعل:

مما يُلحظ في اسم الفاعل أنه ذو طبيعة مزدوجة يشترك بين الدلالة على **الثبوت** من حيث كونه اسما، و**التجدد** من حيث كونه يحمل دلالة الفعل[1].

واسم الفاعل اسم مشتق يدلّ عليه وعلى من قام بالفعل، ذات غايات دلالية معنوية، وجمالية صوتية وتصويرية. والتنوين هو الذي يُسهم في صياغة تلك الغايات وتشكيلها.

وردت مجموعة من **أسماء الفاعلين** تزيد عن **الثلاثين** موضعا، بمختلف الصيغ لاسم الفاعل من الفعل الثلاثي ومن غير الثلاثي، وصيغ المبالغة، وصيغ الصفة المشبهة، فدلالتها **الثبوت واللزوم** من جهة **والتجدد** من جهة أخرى؛ ومن صيغ اسم الفاعل ما يلي: " **خالص، صادق، الرائد، الوافد، البارّ، الباسم، مُبدّدا، مُسدّدا، القـائمون، المؤمنين، بالغوها، المسلم، الصالحة**"

فبحسن استهلال وبراعة توظيف في **مقدّمة الخطبة** نلمس من شيخنا تلك الأريحية والشعور الذي أبداه تجاه الرئيس ووفده، من خلال ذلك التناغم الصوتي والصرفي؛ فالصوتي بتلك الراحة النفسية والاطمئنان القلبي الذي تُضفيه حروف المد على صاحبها، والجرس الموسيقي الناشئ بذلك، أمّا الصرفي فيكمن في اسمي الفاعل:" **خالص، صادق**" المضافَيْن، ليدُلا على الاسمية وبالتالي الدلالة على **اللزوم والثبات**، لتلك التمنيات والعواطف التي أبى الشّيخ أن يُبادلها –باسمه وباسم الهيئة الدّينية–مع فخامة الرئيس حيث تتسم بالثبات ماضيا وحاضرا ومستقبلا، حيث كان الدليل على ذلك المسند إليها وهو" **خالص، صادق**". وأمّا عن أسماء الفاعل: "**الرائد، الوافد، البارّ، الباسم، القـائمون، المؤمنين، المسلم، الصالحة**" فقد اتسمت بالتعريف، وأنها لم تكن عاملة في معمولها فاقتربت إلى الاسمية منها إلى الفعلية؛ فدلالة هذا في الأسلوبية الصرفية–كما مرّ– **الثبات واللزوم**؛ فمن الثابت تلك الحالة من "**الرائد**" للرئيس "زروال" و" **الوافد، البارّ والباسم**" للرئيس الجديد "بوتفليقة"؛ حيث شهد بذلك القريب والبعيد، ... وكذا الثبات واللزوم في صفات القيام والإيمان والإسلام والصلاح التي خصّ بها هيئة العزابة –تلك الهيئة الموقرة، المشرفة على الشؤون الدّينية والاجتماعية للمجتمع المزابي– ومن مهامهم

1 – ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، م س، ص: 221.

الإرشاد الدّيني وركيزته الإيمان – هذا الذي يجب أن يتغلغل في قلب المؤمن دون أن يتطرق إليه أدنى شك لمختلف قضايا عالم الغيب والشهادة– ليظهر ثمرات يانعة وطيبة على سلوك كل فرد، تجاه خالقه ونفسه ومجتمعه ...

أما وإنّ اسما الفاعل:" **مُبدّدا، مُسدّدا**" نلمس فيهما الملمح الثاني لدلالة اسم الفاعل وهو عمل الفعل حيث دلّا على **الحدوث والتجدد والتغير**؛ وهذا بسبب التنوين.[1] الذي تشكل بهما هذين الاسمين، فدلالة التجدد والتغير في الفعلين "**بدّد، وسدّد**" تظهران فيما قام به فخامة الرئيس بعد تولّيه الرئاسة من جهود ومساعي مُتجددة متواصلة دؤوبة في إصلاح البلاد، وانتشالها من مختلف الأوحال والمحن، وتنميتها في جميع المجالات والقطاعات.

ب) صيغ المبالغة والصفات المشبهة:

هذا، ويجب ألّا نغفَل عن دلالات أخرى؛ تُوحي بها صيغ المبالغة أو الصفة المشبهة. "فالصّفة المشبهة تدل على ثبوت الصِّفة للموصوف بها وقد تصل إلى حد الإلحاح على هذا الإثبات للصِّفة وكما أن تكرارها يُضفي على العبارة إيقاعا موسيقيا وجماليا"[2]. حيث كان لها الإضفاء المُتميّز في مختلف مواضع الخطبة؛ نذكر منها:" **الكريم، ودود، الحنون، الطموح، حميد، العظيم، الحصين، الحسّاس،...**" ففيها الدّلالة على **اللزوم والثبات** فِيمن أسندت إليه. نحو قول الشّيخ في المُقدّمة يصف الرئيس حين قال :" **نحو شخصكم الكريم بمناسبة زيارتكم التاريخيّة** " فكانت الصفة المشبهة " **الكريم**" تحمل من الحمولة المعنوية الكثير من الدلالات، أهمها ثبوت تلك الصفة لدى الموصوف المحتفى(الرئيس) فتحمّلتها تلك الصيغة الإعجازية الصرفية بوزن"**فعيل**".إضافة إلى الإيقاع الموسيقي الجمالي، الذي أضفته على العبارة. أمّا عن صيغ المبالغة فنجد:" **ودود، الحنون، الطموح، الحسّاس...**"، حيث تجلّت إحداها في قول الشّيخ:" حول شخصكم الكريم وبرنامجكم **الطموح**". فصيغة" **الطموح**" **على وزن: " فعول**" تحمل من الدّلالة المعنوية الرسوخ وكثرة اتصاف الموصوف(البرنامج) بتلك الصفة. وكما نلحظ في صيغة " **الحسّاس**" على وزن "**الفعّال**"، في قول الشيخ:" فما أوتينا في جزائرنا الحبيبة إلا

1– ينظر: مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 58

2– ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، م س، ص: 231.

من هذا الثغر **الحسّاس**"، فإنها تتضمن من المبالغة، ما يُعطي الكلام قوة وجمالا وإيحاء على تقصير دور المنبر المسجدي، في تأدية دوره التربوي على أكمل وجه.

ب) مصادر الأفعال المُجرّدة والمزيدة:

تجلّت تلك المصادر في كثير من تراكيب الشّيخ في ثنايا خطبته؛ نذكر منها: " **سلاما** و**تحيّة**،...**الرّحب**،... مُبدّدا ظلمة **الشكّ والاحتيار**،... لحسن **الانتقاء والاختيار**،... من **صدق** التوجّه، وواقعيّة **الطرح**، ودقّة **التحليل**،... لا تملكون **العصمة والقداسة**،... **لنصاعة الإيمان**، **والاستمساك** بالعروة الوثقى،... و**هيبته** في النفوس، **بترقية** بيوت الله،... **دعواتنا** الصالحة لكم **بالتوفيق والنجاح**،... وكلأكم **بالرعاية والحفظ** في **الحلّ** و**الترحال**،..."

فهذه المصادر وغيرها الكثير أَعْربت عن ملكة الشّيخ اللّغوية الصرفية، بمختلف صيغها، والتي "تدل على الحدث الصادر من الفعل، أو الحالة التي يعنيها الفعل"[1]، وما كان لها من أثر وثراء وإثراء في المعنى والإعراب، وعُمق دلالي وصوتي بمختلف أصوات المد واللِّين؛ أمّا العمق الدلالي لهذه المصادر تلك الحركية والحيوية في تراكيب الكلام، التي تأسر نفوس المستمعين وتستميلهم لتتبُّعها وسبر أغوارها، لِما فيها من تجدّد وتغيّر في كل حين، ودون حصر لزمان أو مكان. خاصة وقد كانت تلك المصادر المخاطِبة لشخص الرئيس موظفة توظيفا مجازيا تحمل دلالات عميقة، دالة على سعة خيال الشّيخ، ومناسبة لطابع "**الخواطر**"، التي يرجو الشّيخ أن تتحقّق في شخص الرئيس حاضرا ومستقبلا خلال مسيرة كفاحه السياسي.

1- ينظر: الدكتور بوعلام بن حمودة، مفاتيح اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط2، (د،ت،ط)، ص: 15.

المطلب الثاني: المستوى التركيبي(للظَّواهر النحوية والبلاغية)

الخطبة الثانية[1] بعنوان: " في مهرجان شاعر الثورة "

نحمدك اللّهم يا من خلقت الإنسان وعلّمته البيان، وألهمته رشده بإنزال القرءان، ونصلّي ونسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، هدانا للإيمان، وأنقذنا من ظلمات الجهل، وحرّرنا من البغي والطغيان، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وبعد: حضرات الإخوة المسؤولين على كلّ المستويات، حضرات الأساتذة المحترمين والضيوف الأكرمين: طبتم وطاب مسعاكم وتبوّأتم من الجنّة منزلا.

باسم السلطات المحلّية لمدينة العطف، وهيئاتها الاجتماعية، وجماهيرها الشعبية، أُرحّب بكم في هذه القرية الوديعة، وفي هذه المؤسسة الفتية، وحماة ثقافته الأصيلة، ورواد فكره المتفتّح الطّموح، فانزلوا على الرّحب والسّعة، وتربّعوا على عرش القلوب فإنّها في غمرة من الزهو والفرح لطلعتكم الميمونة، وفي رفرف من اليمن والسعد لمقدمكم الكريم.

بسطنا لكم منّا قلوبا وأعيُنا فدوسوا عليها لا تدوسوا على التّرب

وقمنا وللآذان منّا إصاخة إليكم فــهاتوا من حــديثكم الــعذب

أيّها الإخوة الكرام، إذا كانت العطفاء اليومَ قريرة العين باستقبال هذه الوجوه النيّرة، فإنّها مدينةٌ في ذلك لفرع الشبيبة الجزائرية في بني يزقن الذي كان له الفضل في إتاحة هذه الفرصة الطيبة لقريتنا، سيما عندما خصّصوا لها يوم الجمعة بالذات، عيدا في السماء وعيدا في الأرض، وعيدا من أعياد المسلمين والمسلمات. نشكرهم على هذه اللفتة الكريمة، ونرجو لهم كلّ التوفيق والنجاح لأسبوعهم الثقافي الذي نسّقوه تحت شعار: " مفدي زكرياء شاعر الثورة والنضال".

هذا الشّاعر الفحل الذي أقرّ بعبقريته المشرقَان، وغنّت بأشعاره جماهيرنا من شيوخ وشباب وولدان، إذ صاغ قصائده بذوب مُهجته تشعّ نارا ونورا، وهو يحدو بها ركب

1- كلمات استهل بها الشيخ هذا المهرجان المنظم من فرع الشبيبة الجزائرية لبني يزقن في أسبوعه الثقافي التاسع، حيث خُصص يوم الجمعة 2صفر 1408هـ/ 25سبتمبر 1987م للعطفاء، وبالتحديد في المدرسة الأساسية بالعطف وكان الشيخ مديرا لها. حضره جمع غفير وفي طليعته إطارات من السلطات المحلية والوطنية...

الوطنية منذ انطلاقته في العشرينيات حتى الثورة التحريرية العارمة، ثم واكب ثورة البناء والتشييد، وتوّج أعماله الفنية بإلياذته الخالدة التي تُعتبر بحقّ نموذجا رائعا في الشعر الملحمي، قَصُر عن شأوه شعراؤنا القدامى والمحدثون. فحسبه اليوم شرفا وفخرا أن يستقطب اهتمامات كثير من الدّارسين والباحثين في المشرق والمغرب، وأن يُلقّب عن جدارة بشاعر الثورة والنضال.

وليس من غرضي في هذه العجالة أن أتطرّق إلى بيان الخصائص والميزات الفنّية التي امتاز بها شاعرنا، ولا إلى الأغراض التي ندب إليها شعره، فذلك ما سوف نستمتع به في مختلف النشاطات المبرمجة لهذا الأسبوع. ولكنّني أغتنم هذه الفرصة السّعيدة لأقول لكل شبابنا الجزائري، وهو يتغنى بأمجاد هذا الشاعر الكبير، ويستلهم معاني العز والفخر من إنتاجه الجزل القويّ، أقول له: هكذا كونوا أو لا تكونوا. كن مثل مفدي في شهامته وإبائه، في غيرته وتفانيه في حب الوطن، في إقدامه وشجاعته، في نظرته المثلى إلى الوطن والدّين واللغة والتاريخ، في دعوته الصادقة إلى الوحدة والتآخي وإلى الوحدة والتكامل، في إطار المغرب الكبير وهو يقول:

إنّ الجزائر في الغرام وتونسا والمغرب الأقصى خُلقن سواءً

ثمّ في أمانيه الجامحة لكل ما يُحقق العزة والكرامة للوطن الإسلامي الأكبر. لقد وهب حياته لهذه المبادئ السّامية والناس عنه معرضون والمخذولون منه يضحكون، فلم يثن من عزمه ذلك، إيمانا منه أنّ الحقائق باقية وإن غشيت عنها الأبصار، وأنّ التاريخ ينفي عنه الزيف كما تنفي الخبثَ النارُ. فيا شاعر الخلد، نم قرير العين إلى جوار ربّك، فإن الجيل الذي حدوت به في المُلمات لا يسلمُك أبدا، وإنّ الوطن الذي شدوت به في الفخر والمكرمات لا يخفر لك عهدا، ولا يُضيّع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا. والسلام عليكم ورحمة الله، والحمد لله رب العالمين.[1]

المستوى التركيبي من أهم مستويات التحليل الأسلوبي إذ يُعالج عن طريق القرائن السّياقية والمقامية المعنى، ويحاول الوصول إلى تحديد أبعاده الدّلالية التي تتجلى من

1- محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:159-161

خلال التّراكيب المختلفة. كما أنّها وسيلة ضرورية للكشف عن مُميّزات البُنى داخل النَّص الأدبي وعلاقاتها بالمعنى، استنادا إلى الظّواهر النَّحوية والبلاغية.

بداية يتّضح الفرق بين علم النحو وعلم البيان فيما أشار إليه صاحب الطراز" فالنّحويّ ينظر في التركيب من أجل تحصيل الإعراب لتحصل كمال الفائدة، وصاحب علم المعاني ينظر في دلالته الخاصة، وهو ما يحصل عند التركيب من بلاغة المعاني وبلوغها في أقصى المراتب"[1]

وانطلاقا من قول صاحب الطراز، وبناء عليه سأحاول وسأجتهد في هذا المطلب أن أمزج بين كمال التركيب النحويّ وكمال التركيب البلاغيّ، للوصول بتلك التراكيب إلى أقصى المراتب من الدّلالات النحوية والبلاغية، لتحصل كمال الفائدة؛ الفائدة المعنوية والجمالية والتأثيرية من الخطبة. وبِحُسن استهلال وأَبْينه، ومراعاة لسمات الخطبة الأدبية الإسلامية؛ تجلّت مختلف الظّواهر الأسلوبية في مقدمة الخطبة وآخرها، وبشتى مستوياتها **النحوية والبلاغية والصوتية والدلالية**، وسبحان من خلق الإنسان ومنّ عليه بنعمة البيان، تعالى من فنّان، حيث أسبغ هذه المنّة وأسداها إلى كثير من خلقه، منهم الشيخ كعباش؛

<u>أولى هذه الظّواهر: في الأسلوبية النحوية:</u> عندما تتابعت تلك **الجمل الفعلية** في المقدّمة **وانسابت تحت ظلال البيان القرآني البليغ، ومزجها بجمال البديع ونغم أصوات الحروف**، فحمّلها الشّيخ وشَحَنها بحمولة ضافية من الدلالات الجمالية والمعنوية؛ حيث يقول:« **نحمدك** اللهم يامن **خلقت** الإنسان و**علّمته** البيان، و**ألهمته** رشده بإنزال القرءان، **ونصلّي ونسلّم** على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمد ﷺ، **هدانا** للإيمان، و**أنقذنا** من ظلمات الجهل، و**حرّرنا** من البغي والطغيان، **وصلّى** الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وبعد: حضرات الإخوة المسؤولين على كل المستويات، حضرات الأساتذة المحترمين والضيوف الأكرمين : **طبتم** و**طاب** مسعاكم و**تبوأتم** من الجنّة منزلا...» .

1- مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 69

فظاهرة تتابع تلك الجمل الفعلية، بأفعال ماضية ومضارعة، المجردة والمزيدة، الصحيحة والمعتلة؛ منها ما يُوحي بحسن الإجلال لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، في أعظم تسبيح وذكر لأفعاله ونعمه على خلقه؛ الأزلية والحاضرة والمستقبلية في:" **نحمدك، خلقت، علّمته، ألهمته**". ومنها ما يُوحي بحسن الامتنان إلى من أحسن إلينا، الأسوة المهداة والحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، من لا ينقطع نور إحسانه–بفضل الله تعالى– لكلّ العالمين، إلى يوم الدّين، في:" **ونصلّي ونسلّم، هدانا، أنقذنا، حرّرنا، صلّى**"، ثمّ ختاما من الأفعال ما يدلّ على كرم الضيافة وحسن الاستقبال– الذي هو من شيم المسلم الرفيعة ومن **تمام** الإيمان بالله تعالى– حين وظّف الشيخ:" **طبتم وطاب، وتبوأتم، أُرحّب، فانزلوا، وترّبعوا، بسطنا، فدُوسوا عليها لا تدوسوا، وقمنا، فـــهاتوا**"

وثانيها: في الأسلوبية البلاغية؛ من خلال ذلك **السجع** التلقائي السّلس، هذا المُحسن البديعي اللفظي الذي قال فيه السكّاكي:" الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر" يترك في النفس إيقاعا موسيقيا عذبا ويُضفي على المعنى إيحاء ووقعا في نفس المتلقي. وقد لمست هذا المُحسّن البديعي بملمح لافت وجميل في مستهل خطبته وآخرها؛ أمّا قول الشّيخ في المستهل:

– « نحمدك اللهم يامن خلقت الإنسان وعلّمته البيان، وألهمته رشده بإنزال القرءان، ونصلّي ونسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمد ﷺ، هدانا للإيمان، وأنقذنا من ظلمات الجهل، وحرّرنا من البغي والطغيان، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان». وحين قال في آخر الخطبة:

– « فإنّ الجيل الذي حدوت به في المُلمّات لا يسلمك أبدا، وإنّ الوطن الذي شدوت به في الفخر والمكرمات لا يخفر لك عهدا، ولا يُضيّع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا» .

فالسجع(بألف المد والنون، ثم بالدال الانفجارية ومدّها) و**الفواصل** يُمثلان نظاما موسيقيا رائعا، مستلهما عذوبته وجماليته من سجع الحمام، ومن خلال ذلك النظم البديع والتركيب المنسق بين الحركة والسكون، حيث يتجدّد نشاط السامع لسامعه. وَوُزعت فيه تضاعيف الصوت بحروف المد وغنة النون العذبة، يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آنا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عنده راحته المثلى.

وثالثها: في الأسلوبية النحوية؛ في تِكرار الأفعال الماضية وكذا المضارعة المنفية المتصدرة والمؤكدة بـ"**أنّ**" في جملتين؛ الدّالة على **التجدد والتغير**، في قول الشّيخ: « فإنّ الجيل الذي حدوت به في المُلمّات لا يسلمك أبدا، وإنّ الوطن الذي شدوت به في الفخر والمكرمات لا يخفر لك عهدا، ولا يُضيّع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا» .

وكذا للدلالة العامة على أن **التّوكيد** الذي تجلّى من خلال الحرف المُشبّه بالفعل "**إنّ**" تُبدي أنّ رعيل " نوفبر" ومن بعده، قد وفّي بعهوده من عدم تضييع العهد والودّ وعدم نسيان ما قام به شاعر الثورة –فارس القلم واللسان– من نضال وكفاح ضدّ المحتل الغاشم، بكلّ ما يملك من فصاحة وبيان في شعره، ومن أجل إذكاء روح الحماسة في نفوس المُحتضنين للثورة التحريرية المباركة.

ورابعها: في الأسلوبية البلاغية كذلك؛ والمُلفت للانتباه كذلك تِكرار "**شبه الجملة**" من خلال "**الجار والمجرور**" في مقدمة الخطبة وعَرضها وخاتمتها؛ وقد تبّين هذا بإحصاء بطريقة الترميز اللوني، بدت تلك **الكثافة العجيبة** لهذه الظّاهرة بما **يقرب المئة** موضعا في كلّ الخطبة؛ **تأمّل معي في أول الخطبة:**" بإنزال، على أشرف، للإيمان، من ظلمات، من البغي، عليه وعلى آله، لهم بإحسان، على كل المستويات، من الجنّة، باسم السلطات المحلية لمدينة، بكم في هذه القرية الوديعة، وفي هذه المؤسسة ، إلى جوار، على الرحب، على عرش، في غمرة من الزهو، وفي رفرف من اليمن، ...

–**وفي عَرض الخطبة**–...عيدا في السماء وعيدا في الأرض، وعيدا من أعياد، أقرّ بعبقريته المشرقَان، وغنّت بأشعاره جماهيرنا من شيوخ، كن مثل مفدي في شهامته وإبائه، في غيرته وتفانيه في حب الوطن، في إقدامه وشجاعته، في نظرته المثلى إلى الوطن،..

–**وفي آخر الخطبة**–... به في المُلمات، به في الفخر، لا يخفر لك، ولا يُضيّع لك، ولا ينسى لك... " يرتبط التّكرار في العبارات والألفاظ، بكل من:"**الإطناب والتطويل**" علما بأنّ في الإطناب قوة وبلاغة، وفي التّطويل ضعفا وعيبا، فيُعرف الإطناب بأنه: " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة" وهو بخلاف التطويل الذي تكون فيه زيادة اللفظ بلا فائدة...يُكرّر المُتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو

الوعيد أو لمناسبة المقام، أو لإظهار العناية بالشيء، وتوجيه الأنظار إليه، وتقرير حقيقة في النفوس، أو لإبراز أهميته وخطورته".[1]

انطلاقا من هذه المقولة، وبما يرتبط به التكرار وما يفيده من دلالات في النسيج اللغوي والبيان العربي، وبعد تأمّل في تكرارات "**الجار والمجرور**" في خطبة شيخنا؛ يمكن القول إنّها وردت من قبيل الإطناب لا التطويل، حيث أفادت المُستمعين بعدة وظائف؛ نذكر منها:

ما جاء لتأكيد المدح، في قول الشّيخ:" ونصلّي ونسلّم على أشرف الأنبياء... هدانا للإيمان،... وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان"

أو **لإبراز أهمّيته وخطورته**، في قول الشّيخ:" وأنقذنا من ظلمات الجهل، وحرّرنا من البغي والطغيان". على أن المنقذ هو الرسول ﷺ من خلال نور الوحي الإلهي الذي جاءنا به.

أو لتأكيد الوصف، في قول الشّيخ:" هكذا كونوا أو لا تكونوا. كن مثل مفدي في شهامته وإبائه، في غيرته وتفانيه في حب الوطن، في إقدامه وشجاعته، في نظرته المثلى إلى الوطن والدّين واللغة والتاريخ، في دعوته الصادقة إلى الوحدة والتآخي وإلى الوحدة والتكامل، في إطار المغرب الكبير"

أو لمناسبة المقام، في حسن حفاوة الاستقبال، في قول الشّيخ:" فانزلوا على الرحب والسعة، وتربّعوا على عرش القلوب فإنّها في غمرة من الزهو والفرح لطلعتكم الميمونة، وفي رفرف من اليمن والسعد لمقدمكم الكريم"

أو **لإظهار تزامن المناسبة بيوم الجمعة الأغر**، في قول الشّيخ:" **سيما** عندما خصّصوا لها يوم الجمعة بالذات، عيدا في السماء وعيدا في الأرض، وعيدا من أعياد المسلمين والمسلمات"

أو **لتوجيه الأنظار إليه، وتقرير حقيقة منزلة الشاعر في النفوس**، في قول الشّيخ:" فيا شاعر الخلد، نم قرير العين إلى جوار ربّك، فإن الجيل الذي حدوت به في المُلمات لا

1- معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د.خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2003، ص:104

يسلمك أبدا، وإنّ الوطن الذي شدوت به في الفخر والمكرمات لا يخفر لك عهدا، ولا يُضيّع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا".

وخامسها: بين الأسلوبية النحوية والبلاغية: ما نلمسه من ظاهرة **بلاغية بيانية** في " **اللّف والنشر**، المصحوب بالطباق السلبي البديع" **وظاهرة نحوية** في تكرار: " **الجار والمجرور**"؛ حيث تجلّت في قول الشّيخ: " هكذا كونوا أو لا تكونوا. كن مثل مفدي في شهامته وإبائه، في غيرته وتفانيه في حب الوطن، في إقدامه وشجاعته، في نظرته المثلى إلى الوطن والدين واللغة والتاريخ، في دعوته الصادقة إلى الوحدة والتآخي وإلى الوحدة والتكامل، في إطار المغرب الكبير". أما عن الظاهرة **البلاغية البيانية** فقد كان" **اللّف**" أو الإجمال في القول من خلال أوّل العبارة:" **كونوا أو لا تكونوا**"، ثم عقّب الشّيخ ذلك بـ "**النشر**" أو التوضيح والتفصيل، مخاطبا الشباب –أمل الأمة وعُدّتها– في التمثّل والاقتداء بتلكم الخصال الّتي ضرب بها شاعر الثورة أروع المواقف، وتحلّى بها تجاه وطنه الكبير والأكبر؛ من الشّهامة والإباء، الغيرة والتفاني، الإقدام والشجاعة، النظرة المثلى لثوابت الهُويّة، الدعوة الصادقة إلى الوحدة والتآخي والتكامل. كلّ هذا في ثنايا تركيب أدبيّ ولغويّ بديع، مُلفت للانتباه يشدّ بالأسماع **بظاهرة نحوية** تمثلت في تكرار: " **الجار والمجرور**".

وسادسها: في الأسلوبية البلاغية، ظاهرة المجاز، حيث عرّفه الجُرجاني: " كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول"، فهو شكل من أشكال تداعي المعاني على بساط واحد من اللفظ، فما أن يُذكر لفظ إلا وأكثر من معنى يرد إلى الأذهان"[1] . وهذا في مختلف أجزاء الخُطبة، من خلال أفعال وتراكيب؛ نذكر منها: " و**أنقذنا** من ظلمات...، و**حرّرنا** من البغي،... **فانزلوا** على الرحب والسعة، و**ترّبعوا** على عرش القلوب،... **بسطنا** لكم منّا قلوبا،... **فدوسوا** عليها..." نلمس في هذه الأفعال انزياحا عن المعنى الحقيقي؛ ففي(**أنقذنا، حرّرنا**) دلالة على التخلّص من مأزق الكفر والضلال الذي كان يكبل الإنسان إلى نور الحرية والكرامة التي تجلت في الهدي المحمدي. أما عن(**فانزلوا**، و**ترّبعوا**) فيه دلالة على الترحيب

1– مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 174

الحار، والفرحة العارمة التي غمرت القلوب بمقدمكم، والجلوس بيننا بتمكّن واستقرار وأمان. وفي(**بسطنا، فدوسوا**) دلالة على تهيئة القلوب لاستقبال الضيوف، وكأنها فُرش تُبسط للوفد النبيل، ترحيبا به وتقديرا وتكريما له، وكذا ما نلمسه من تواضع في حفاوة استقبال إلى أن صارت القلوب مطايا يدوس عليها الضيف للارتقاء. وقد تجلت هذه الصورة البيانية من خلال"**الاستعارة المكنية**"، التي حذف منها أحد ركنيها(المشبه به). ، وذلك من قبيل استعارة الشّيخ تلك الأفعال الدّالة على معان مجردة في الاستخدام العادي ليُوظّفها في صُور بيانية مُفعمة بالحركة والحيوية؛ فالفعلان" **أنقذنا، حرّرنا**" **كان** المشبه مذكورا(الظلمات والبغي)، والمشبه به محذوفا(مثلا نعتبره: مأزق ما، سجن)، والفعلان مُسندان إلى رسول الأنام–والمؤيّد من الله تعالى بالوحي والمعجزات–دلّا على التّحول الكبير من حياة الجاهلية –حيث كانت البشرية تتخبط في غياهب الجهل والشرك– إلى حياة نور العلم والإيمان.

أما عن الأفعال " **ترّبعوا، بسطنا، فدوسوا**". فقد دلَّت على مجازات لغوية متمثلة كذلك في "**الاستعارة المكنية**" الّتي أخرجت المعاني المجردة إلى معان محسوسة فزادت للألفاظ قوة وللمعاني جلاء ووضوحا، كشفت عن تلك المكنونات من العواطف الجياشة التي تغمر قلب الشّيخ وتعتلج صدره، وما يُكنّه من التقدير والاحترام والتبجيل إلى حدّ كبير تجاه أولئك الضيوف المحترمين.

ولمسة أخرى سابعة من الأسلوبية البلاغية والدّلالية ما تجلّى من جمال فنّي وألفاظ جزلة موحية في هذه التراكيب: " إذ **صاغ** قصائده **بذوب** مهجته تشع **نارا ونورا**، وهو يحدو بها **ركب الوطنية** منذ انطلاقته في العشرينيات حتى الثورة التحريرية **العارمة**، ثم **واكب ثورة** البناء والتشييد، **وتوّج أعماله** الفنية بإلياذته الخالدة،... فيا شاعر الخُلد، نم قرير العين إلى جوار ربّك، فإنّ الجيل الذي **حدوت** به في **المُلمات** لا يسلمك أبدا، وإنّ **الوطن الذي شدوت** به في الفخر والمكرمات **لا يخفر** لك **عهدا، ولا يضيع** لك وُدّا، **ولا ينسى** لك يدا" فقد مزج فيها بين البيان الرفيع والبديع الموسيقيّ الجميل، والدّلالي الموحي؛ أما عن **البيان الرفيع** فمن خلال تلك المجازات في توظيف الألفاظ، منها:" إذ صاغ قصائده بذوب مهجته تشع نارا ونورا، وهو يحدو بها ركب الوطنية منذ انطلاقته في العشرينيات حتى الثورة التحريرية العارمة، ثم واكب ثورة البناء والتشييد، وتوّج أعماله

الفنية بإلياذته الخالدة..." ففي قوله " صاغ قصائده بذوب مهجته" دلالية قوية تُوحي بأن الشاعر نظم أشعاره بكل ما تحمله معاني التضحية، من صدق الإيمان بجهاده المقدس ضد المحتل الظالم، حيث كتبها بالدم الذائب من مهجته لا بالمداد القابع في محبرته، وقد ظهر كل ذلك في صورة فنية بديعية رائعة، أضفت للمعنى عمقا وللفظ جمالا وللخيال صورة متحركة؛ تمثلت في "**استعارة مكنية**".

وفي البديع الموسيقيّ الجميل؛ يتجلّى محسّنان بديعيان لفظيان:"**الجناس والسجع**"، أمّا **الجناس الناقص** فقد بدا في" **نارا ونورا**" المُوحي بقوة اللفظ والمعنى في تلكم القصائد التي كان شاعر الثورة يَنظِمها من أعماق روحه وقلبه ودمه الطاهر، فيُذكي بها روح الجزائريين الثوار ضدّ البغي والعدوان الفرنسي المغتصب، حيث يَنفخ بها في أرواحهم، ليستنهض هممهم ويُشحّذ عزائمهم للمضيّ قُدما وبكلّ عزم أكيد، ودون إدبار وتولٍّ يومَ الزحف. إلى الظفر إما بالانتصار أو بنيل الشهادة في سبيل الله تعالى.

ويأتي **السجع** في الخاتمة–ومن تمام براعة الشّيخ في حسن الاستهلال والختام– حيث نسّقه ورتّبه وركّبه واستبدل ألفاظه في أربع جمل رائعة، الأُوليان بحجم متوسط، والأُخريان بحجم قصير، فأحسنُ السجع ما تساوت فقره–كما يقول البلاغيون– تلك الباقة من الجُمل نسّقها الشّيخ بشكل متميّز، يستميلُ المُستمعين والمُتمتّعين بأذن مُرهفة تجاه الأدب وجماله الفني؛ ليختم الخطبة ويُودّع الأحباب والضيوف بذلك النغم الموسيقي البديع، النّاشئ بالحرف المسجوع "**الدال**" المُتميّز بمختلف الصفات الصوتية ونبراتها، ويحمل في طياته شتى الدلالات؛ من صفتين قويّتيْن "**الجهر والشدة**"، لتبقى **دلالات الخاتمة** عالقةً في الأذهان وفي نفوس المستمعين فلا تُنسى، كما لا تَنسى أجيالُ ثورة نوفمبر ومن بعدهم نِضالات شاعر الثورة وكلّ الثُّوّار المُخلصين، فتبقى وفيّة بعهودها تجاههم في مواصلة تحرير الوطن الحبيب –الجزائر– من ظُلمات الكفر والجهل والخيانة وتُسهمُ في البناء والتشييد، كلٌّ حسب مستطاعه ومسؤوليته.

ولفتة أخرى نلمسها في **الأسلوبية البلاغية** لهذه الخطبة، وهي ظاهرة " **التعريف والتنكير**" حيث تُعدّ "من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوالُ المخاطَبين، ومقامات

الخطاب، ويقصدها المتكلم لتُعبّر عن معنى يريده، وينسجم مع في نفسه من المشاعر والأفكار"[1]. والمعارف في العربية سبعةُ أنواع: المُعرّف بـ"الـ"، الضمائر، والأعلام، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمنادى، والمضاف إلى معرفة؛ "وهذه المعارف منها ما يتميّز عن غيره بخصائص تجعل من السياق للنص الأدبي يختار نوعا من هذه الأنواع على غيره، فإنّ لكل أداة من أدوات التعريف طُعما ومذاقا يختلف عن الآخر، والذي يُحدّد الاختلاف ثقل الكلمة، ومكانها وقيمتها عند المخاطَب" [2]؛ تجلّت هذه الظاهرة في هذه التراكيب:

" أيّها الإخوة الكرام، إذا كانت العطفاء اليوم قريرة العين باستقبال هذه الوجوه النيّرة، فإنّها مدينة في ذلك لفرع الشّبيبة الجزائرية في بني يزقن الذي كان له الفضل في إتاحة هذه الفرصة الطيّبة لبلدتنا، سيما عندما خصّصوا لها يوم الجمعة بالذّات، عيدا في السماء وعيدا في الأرض، وعيدا من أعياد المسلمين والمسلمات".

فمن دلالات التعريف بـ"الـ": التشريف، والاختصاص؛ فتجلّى مقام التشريف في المعرفتين" الإخوة الكرام، العطفاء" عندما حُظي أولائك الإخوة الكرام بزيارة العطفاء– أمّ القرى ومدينة الألف عام– بمناسبة هذا المهرجان الثقافي، وإلّا فقد **تشرّف** أهل "العطفاء" عندما زارها ذلك الوفد الكريم، من سلطات محلّية ووطنية، وكثير من الأساتذة–رفاق الشاعر– أما عن دلالة "**الاختصاص**" فقد تجلّت في هذه المعارف: " الجمعة، السماء، الأرض" بسبب أنّ يوم الجمعة يعدّ يوما مشهودا في ديننا الإسلامي الحنيف، لِما يختصّ به من ليلة عظيمة تسبقه في كلّ أسبوع، وعيد عظيم في نهاره عند أهل السماوات والأرض.

وكذا من دلالات التعريف بالأسماء الموصولة وأسماء الإشارة: " **الّذي، هذه، ذلك**". يقول الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز:" اعلم أن لك في "الذي" عِلما كثيرا وأسرارا خفايا إذا بحثت عنها وتصورتها واطلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤدّيه إليك من حسن التبيين". فمن دلالات الاسم الموصول "**الذي**"

1– معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، م س، ص: 138

2– مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 142

التشريف، حيث بدت ظلاله على فرع الشبيبة الجزائرية بادية، مما يُضفي من جماليات إلى الأسلوب وبيان على اللفظ بعدم تكراره. التشريف لفرع بني يزقن لما كان له من الفضل في استهلال فعاليات هذا المهرجان من مدينة الألف عام–العطف– واستمرارية الدلالة كذلك مع الفعل "**كان**".

أمّا عن دلالات أسماء الإشارة " **هذه، ذلك**" فمن أغراضها البيانية: التشريف، وتمييز المشار إليه في ذهن السامع، وتخصيصه بالصفة المذكورة بعده. وإن تأملنا في كلام الشّيخ حول تلك الأغراض، فسوف نتفيّأ ظلالها كذلك، وتُصافحنا نُسيماتها؛ فقد أشار بـ"**هذه**" إلى القريبين من أولائك الإخوة الضيوف الكرام، حيث أضفت لمسة من التشريف والتبجيل عليهم، وكذا اسم الإشارة " **ذلك**" حيث أشار الشّيخ بها إلى تشريف أهل العطف، لاستقبالهم الحار لضيوف المهرجان من جهة، ومن جهة أخرى لتمييز المشار إليه في ذهن السامع، وتخصيصه بالصفة المذكورة بعده بعده؛ هذا الخبر متعلّق بمن كان له الفضل الأول في حصول الفخر والشرف لأهل العطف، وهم فرع الشبيبة الجزائرية لأهل بني يزقن، المنظِّم لهذا المهرجان الكريم واستهلال فعالياته من قرية العطف.

وتأتي ظاهرة " **التنكير**" مصاحبة دوما لظاهرة التعريف، فتكتمل الأسلوبية البلاغية من الوجهين، فتُلقي هي كذلك بجمالها اللفظي والمعنوي على العبارات والسياقات، فيستقي المُتذوق الأدبي منها إيحاءات ودلالات؛ وهذا ما نلمسه في عبارة الشّيخ السابقة من خلال اللفظة "**عيدا**" فإنّ النكرة في "علاقة ضدّية وتباين مع المعرفة"، وتأتي النكرة لمعنيين أساسيين هما " **النوع والإفراد**". وقد يُفيد التنكير معاني بلاغية أخرى من خلال تفاعلها مع سياق عبارات النص؛ منها: ما دل على عموم، أو تكثير، أو تعظيم، أو تقليل، أو تهويل، أو تحقير.[1] وانطلاقا من هذه المعاني فيمكن القول أن لفظة " **عيدا** " قد أضفت على سياقها " **تعظيما**" لما ليوم الجمعة من جلال ووقار في نفوس المسلمين؛ حيث يشهد ليلة شريفة تسبقه، وصلاة مباركة عظيمة في نهاره تجمع المسلمين في صعيد واحد لسماع خطبته، والاستفادة من التذكرة وللاتّعاظ.

1– مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 149

وفي غمرة افتتاح المهرجان وفرحة الحضور بهذه اللفتة الطيّبة في الإشادة بأعمال شاعر الثورة، والتنويه بفضله على الوطن والأمة قاطبة، وفي رحاب الأدب والأدباء، وفي بساط هذه الخطبة الأدبية الثريّة بمختلف الظواهر الأسلوبية، وتحت ظلال تجاذب وتنوع التّراكيب وتبادل الألفاظ والمعاني والخواطر وازدحامها إلى قريحة الشّيخ وتجلّياتها في نسيج الخطبة، تبرزُ ظاهرة أسلوبية وتأبى إلّا أن تكون لها مشاركة مع الحضور، حيث تُشعرهم بأهمّيتها ودورها الحساس في ثنايا الصيغ والتراكيب الفنية، تتمثّل في ظاهرة " **التقديم والتأخير**" فقد وصف الجرجاني التقديم بأنه:" باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة،..."[1]

فمن الدلالات التي أفادتها هذه الظاهرة دلالة "**الاختصاص**" عندما تقدم شبه الجملة "جار ومجرور" على الفاعل؛ في قول الشّيخ: " هذا الشاعر الفحل الذي أقرّ **بعبقريّته** المشرقَان، وغنّت **بأشعاره** جماهيرُنا من شيوخ وشباب وولدان" حيث أراد الشّيخ أن يخصّ في هذا التركيب بالذكر "**العبقرية، والأشعار**" فكان منه أن وظّف خاصّية تقديم "**الجار والمجرور**" على الفاعل، ليُنوّه ويُلفت الأنظار والأسماع إلى أهمية ما يتميّز به شاعر الثورة من عبقرية ودهاء، حيث ظهر ذلك جليّا في أدب شعره وقصائده، فتغنّت به مختلف طبقات المجتمع.

ومن الدلالات كذلك التي أفادتها "**تقديم السبب على المسبّب**" في مستهل الخطبة، حيث تقدّم ثناء الله تعالى وإجلاله على المنادى؛ حين قال الشّيخ:" نحمدك اللهم يامن خلقت الإنسان وعلّمته البيان، وألهمته رشده بإنزال القرءان" فكان من براعة الشّيخ الأدبية والفنّية في حسن الاستهلال، أن قدّم السبب وهو حمد الله تعالى الدال على تعظيم الله تعالى وتوقيره، على ما سيذكره من مسبّبات في بعض النعم التي مَنَّ الله تعالى بها على الإنسان؛ من نعمة خلقه في أحسن تقويم، ونعمة تعليمه البيان، ونعمة الإلهام إلى رشده، ونعمة "تخصيصه" بإنزال القرآن وهي من أعظم النعم، حيث لم تحض بتلك النعم الكثير من المخلوقات.

1- ينظر: مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، م س، ص: 94

وعودة أخرى إلى دلالات " **الاختصاص**" فقد بدت فيها أشكال التقديم في مختلف أجزاء الخطبة؛ من ذلك:

تقديم "الجار والمجرور" على الفعل والفاعل، في قول الشّيخ:" باسم السلطات المحلية لمدينة العطف، وهيئاتها الاجتماعية، وجماهيرها الشعبية، أُرحّب بكم..."

تقديم "الجار والمجرور" على المفعول به:" خصّصوا لها يومَ الجمعة..."

وتقديم "خبر كان" على "اسمها"، في قول الشّيخ:" كان له الفضلُ في إتاحة هذه الفرصة..."

وتقديم "الجار والمجرور" على الفاعل، في قول الشّيخ:" قَصُر عن شأوه شعراؤُنا القدامى والمحدثون".

ففي السياقات السابقة كان الملمح الفنّي في ذلك "**التقديم**" بمختلف أشكاله، دالّا على **الاختصاص والحصر** أي التشريف ولفت انتباه المتلَقّي لأهمّية ذلك المقدَّم ومنزلته وقيمته.

أمّا عن تقديم "**المفعول به**" على الفاعل، في قول الشّيخ:" كما تَنفي الخَبثَ النارُ". فقد دلّ كذلك على الاختصاص وكذا القصر؛ فقد أفاد قصرُ نفي الشوائب عن أيّ شيء–من معدن ونحوه– باستعمال أداة واحدة وهي النار فقط، حيث يُنقّى ذلك المعدن ويكون خالصا، مثلما يقع للذهب الخالص.

أمّا تقديم " الجار والمجرور" على المفعول به، في قول الشّيخ:" لا يخفر لك عهدا، ولا يُضيّع لك وُدّا، ولا ينسى لك يدا". فإنّا نلمس من هذا التقديم مسحة أخرى جمالية، تزيد للمخصّص منزلة ومقاما في نفوس المُتلقِّين الحاضرين والغائبين؛ ألا وهو المُحتفى به في هذا المهرجان" شاعر الثورة والنضال" حيث كان من الشّيخ أن أبدى عهودا يجب الوفاء بها تجاهه، من كلّ مواطن جزائريّ غيور على وطنه ومُنصِف ومُطّلع على تاريخ الثورة عموما، وعلى تضحيات وأعمال "مفدي زكرياء" خصوصا.

المطلب الثالث: المستوى الدّلالي

الخطبة الثالثة بعنوان: في مؤتمر "لا إله إلا الله" 1433هـ-2012م

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، نحمده تعالى على نعمة الحياة، وعلى نعمة الصّحّة، وعلى نعمة الهداية، ونشكره أن متّعنا بالعيش في قرية مطمئنة آمنة، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ سيدنا محمدا ﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من اتّبع هداهم إلى يوم الدّين. أمّا بعد:

فيا أيّتها الأمّهات المؤمنات الطاهرات، ويّا أيّتها الأخوات الفضليات، والبنات الواعيات المثقفات، السلام عليكنّ جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته.

يشرفني أن أهنّئكن على إتمام لقاءاتكن المباركة لمؤتمرات: "**لا إله إلا الله**" والتي تُتوّج اليوم في بلدتنا الطيّبة بهذا اللقاء المبارك الذي نرجو من ورائه الخير الكثير لمجتمعنا الفاضل بما يتمّ فيه من التوجيهات والإرشادات الهادفة المخلصة التي تهفو لها النفوس وتنشرح لها القلوب:(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[سورة فصلت/33].

ولا شك أن كل حاضرة منكن في هذا اللقاء قد جاءت بنية خالصة ورغبة صادقة لمشاركة أخواتها المؤمنات في هذه التظاهرة المباركة لإحياء تراثنا وتدعيم قيمنا الروحية المرتكزة على نهج الله القويم وسنة رسوله الكريم، ومن أعظمها التعاون على البر والتقوى والتشاور الاجتماعي في كل ما يعود على مجتمعنا وعلى الأمة الإسلامية باليمن والبركة.

أيّتها الأخوات المؤمنات، إنّ خير ما نتواصى به في هذه الفترة العصيبة التي يعيشها مجتمعنا، وقد أصبح في بحبوحة من العيش الرغيد والرفاهية المفرطة بما فتح الله عليه من الأرزاق، وبما أغدق عليه من أنواع النّعم حتى أتخمت البطون، واحتدمت الرغبات والشهوات وكدنا ننتهي إلى حد البطر والترف، وما يتولّد عن ذلك من ظواهر خطيرة على مصير المجتمع، إن خير ما نتواصى به هو أن نربّي أنفسنا وأولادنا على شكر النعمة وأداء حقها، وذلك بمعرفة فضل المنعم وتقديره حق قدره إيمانا وعقيدة صحيحة في وحدانيته وربوبيته، واستقامة على نهجه كما أمرنا لأنه هو البارئ الخالق والمنعم الرزاق وهو يعدنا إن شكرناه حق الشكر بدوام النعمة والزيادة فيها. (وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ). [سورة إبراهيم/7]. وهل ترضى الأمهات المؤمنات والزوجات الصالحات أن يتحملن أوزار أزواجهنّ وهم يطعمون أهليهم لقمة الحرام استجابة لكثرة مطالبهنّ وتلبية لأنواع رغباتهنّ، وهل ترضى المؤمنات الصادقات أن يبتلى أولادهنّ بارتكاب السرقات وتناول المخدرات وترك الصلاة واتباع الشهوات؟.

والمرأة أمّام هذه الانحرافات هي المسؤولة في المقام الأول في دار زوجها كما حدّث بذلك رسول الله، وكان من جملة تنبؤاته ﷺ في ما يحدث لأمّته في آخر الزمان أنه قال:(سيأتي زمان يكون ضياع دين المرء على يد أهله)، فقالوا كيف ذلك يا رسول الله؟، فقال: (يكلفونه مالا يطيق فيدخل مداخل يضيع فيها دينه) أو كما قال.أليست هذه هي حالتنا اليوم؟ فقد قرع الوعاظ والمرشدون ناقوس الخطر وكدنا ينطبق علينا المثل الذي ضربه الله لمثل هذه الأوضاع، إذ قال جل من قائل: أ)-(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ). [سورة النحل/112] .

ب)- (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [سورة القصص/58].

أنصبر على الجوع والخوف إن عوقبنا بهما-لا قدر الله -؟، ألا نتعظ بما نشاهده كل يوم عبر شاشات التلفزة من تلك المظاهر المأساوية بما يعانيه كثير من أشقائنا وأصدقائنا؟، أليسوا مسلمين مثلنا، ولكنهم فرطوا وقصروا؟ فنحن وإن كنا نرجو السلامة والعافية لبلادنا لسنا بمعزل عن تلكم المصائب والشدائد التي هي ابتلاء من ربنا تبارك وتعالى وهو القائل:(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). [سورة البقرة/155]. فرحم الله زمانا كانت تقول فيه المرأة الصالحة لزوجها: نصبر على الفقر والجوع ولا نصبر على النار، والعياذ بالله، وهي في حسن تدبيرها وفي الإشفاق على زوجها يصدق فيها المثل الشعبي القائل: " الرجل ساقية والمرأة جابية" ولكننا اليوم ابتلينا بالبدخ والترف غير آبهين لمفاجآت الدهر ولا بقوارع الزمان، وسنن الله لا تتخلف عندما يحكم على قوم بزوال نعمته وحلول نقمته وما هي من الظالمين ببعيد.

فلنتب إلى الله جميعا –أيّها المؤمنون– ممّا نحن عليه من الإسراف والتبذير، ولنحذر من الوقوع في حبائل الشيطان كما حذرنا من ذلك ربّنا إذ قال:(وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) [سورة الإسراء:26–27]. فإن لم نتعظ بكلام الله وهو أصدق الحديث فلا أقل من أن نتعظ بغيرنا، ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار.

فاللهم قنا نوائب الزمان، ومكايد الشيطان، وسطوات السلطان، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا ولا بما كسبت أيدينا ولا بما فعل السفهاء منا إنك على كل شيء قدير. رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، متعنا الله جميعا بالصحة والعافية ورزقنا الشكر على نعمه الضافية، والحمد لله رب العالمين.[1]

إنّ **للمستوى الدلالي** في التحليل الأسلوبي دورا كبيرا في فهم مختلف الظواهر الأسلوبية، فإليه يعود الفضل في تفسيرها، فالدّلالة علم يعنى بدراسة المعنى ولكن ليس المقصود منه المعنى الظاهر بل المعنى الذي يتولَّد من تعدد السّياقات ضمن التراكيب المتنوعة. "فعملية الكلام لها جانبان: أحدهما مادّي وهو الأصوات المنطوقة، والآخر عقلي وهو المعنى المقصود، وعلى هذا يجب أن يسير التحليل اللغوي في خطين متوازيين".

يقول عبد القاهر:" وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟".

فالألفاظ المتضادة، والألفاظ المترادفة، وحروف الجر، وحروف العطف، وحروف الاستفهام على سبيل المثال لا الحصر، لا يكشف معناها إلّا السياق اللغوي. [2]

هذا ولابد من القول إنّ هناك علاقة واضحة –في دراسة النصوص الأدبية– بين جانبي الدلالة والصوت، فهما يتكاملان معا ويتطابقان، في تأليف البُنية العامة لنسيج العمل

1– محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، م س، ص:128–130

2– ينظر: معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، م س، ص: 62

الأدبي، ما يُفضي إلى تصور واضح عن دلالة البنية الكلّية للنص، وكذا مناسبة النص ومقاصده.

أولا: ظاهرة المشترك اللّفظي.

فهو يعني وجود لفظ واحد بمعان مختلفة؛ " وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر".

تجلّت هذه الظاهرة الدلالية في مواضع عدة من الخطبة؛ فمن أمثلة المشترك اللفظي اللافتة في هذه الخطبة، تكرار لفظ "**النّعمة**" بمختلف مشتقاتها ومدلولاتها، نذكر من ذلك: " الحمد لله الذي أسبغ علينا **نِعمه** ظاهرة وباطنة، نحمده تعالى على **نعمة** الحياة، وعلى **نعمة** الصّحّة، وعلى **نعمة** الهداية،... أغدق عليه من أنواع **النّعم**،... وذلك بمعرفة فضل **المُنعم**،...**المُنعم** الرزّاق وهو يعدنا إن شكرناه حقّ الشّكر بدوام **النّعمة**،... فَكَفَرَتْ **بِأَنْعُمِ** اللّهِ،... على **نعمه** الضافية". فقد أفادت "**اتساع رحمة الله وشمولها**"؛ حيث تسارعت إلى ذهن الشّيخ ألفاظ هذا المعجم، فاستطاع بملكته اللّغوية الثريّة أن ينتقي منها الأنسب والألصق بالمعنى المُراد والأفيد، وهو في مقام شكر وتهنئة وتنويه وتوعية للمجتمع النسوي، ومن خلاله لمجتمع الرجال، في مناسبة طيّبة سنوية تجمع النساء والفتيات من مختلف قصور الوادي، في لقاء طيّب مبارك يتمّ فيه التذكير والنصح والإرشاد من أولي الأمر، وخاصة من المشايخ والعلماء –أهل الحكمة والبيان– حيث ذكّرهن بعظمة النعم ودوامها بشكرها القولي والعملي أو زوالها بكفرانها القولي والفعلي، فَبَسطها وأشار إليها في المُقدمة والعرض والخاتمة، وهذا من حسن براعة الشّيخ في إيجاد "التناسب بين أركان الخطبة"؛ من خلال ما تحمله لفظة "**النعمة**" من دلالات وإيحاءات بنظم وانتظام بديع، يستميل السامعات ويؤثّر فيهنّ نحو الإصلاح والاستقامة والشكر، وممّا زاد للخطبة دلالة وثراء وحُجة أكثر، تلك الشواهد القرآنية والحُجج القاطعة المُناسبة لمعجم "النعم".

فتنوّعت دلالات هذا المعجم بتنوّع صِيغه؛ بين المصدر(**نعمة**)، والمفرد(**نعمة**) والجمع(**نعمه، النّعم، أَنْعُمِ**)، والتعريف(**النّعم**) والتنكير(**نعمة**)، اسم الفاعل(**المُنعم**).تلك الصيغ الاسمية دون الفعلية؛ الدّالة على "**الثبوت واللزوم**"، حيث نجدها منعكسة في حياتنا اليومية، ضافية بمختلف الأشكال ولله الحمد، إلّا لمن كفر بها وجحد حقّها؛

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فَلِكَي يقع التوازن بين جانبي الدلالة والصوت، فهما يتكاملان معا ويتطابقان؛ فإنا نلمس دلالة الملمح الصوتيّ بادية على لفظة "**النعم**" من خلال الحرفين:"**النون والميم**" فهما يتميّزان مخرجا وصفاتا؛ أما **عن المخرج** فإنّ لكلٍّ منهما مخرجان مُحقّقان أنفي شفوي ثم أنفي لساني، ما يوحي بكثرة مخارج النعم حيث لاتُعد ولا تُحصى، **وفي الصفات** فإنّ لكلّ منهما صفات بين القوة والضعف؛ منها صفة الإذلاق وتعني الخفة واليسر، حيث تُضفيان الخفّة في الكلام عند النطق بها ضمن أيّ مفردة، ومنها صفة البينية أي بين الرّخاوة والشدّة في انحباس الصوت أو جريانه في المخرج؛ فممّا يُستوحَى من دلالة في الإعجاز الصوتي لهاتين الصفتين في هذا المقام في لفظة "**النعم**"، ما نجده من اليسر والسيولة فيها؛ حيث أنّ الله تعالى أسبغها على جميع الخلق(للذكر والأنثى، للفقير والغني، للصغير والكبير، للشريف والوضيع، للأبيض والأسود، للحر والعبد،...)، دون استثناء أو محاباة، وبمجانية دون مقابل–في الدّنيا دون الآخرة– منذ اللّحظات الأولى من خِلقة الإنسان في بطن أمّه إلى آخر لحظة من حياته وفِراق الدنيا.

ثانيا: ظاهرة التّرادف

اختلف العلماء–قديما وحديثا– في ترادف ألفاظ اللغة، بين مُنكر لوجودها ومُؤيّد. ويرى المُنكرون أنّ هناك فروقا ومعاني جُزئية دقيقة بين الكلمات التي يُظنّ أنها مترادفة، فالألفاظ وإن تقاربت معانيها غير أن لكلّ لفظ هوّية معنوية خاصّة به، كالسيف الصارم؛ فإنّهما دلتا على شيء واحد لكن باعتبارين، أحدهما على الذات والآخر على الصفة، فالصارم إذن صفة للسيف وليس مرادفا له، وإن دلا على شيء واحد. وهذا بسبب ما شهدته الثروة اللغوية من تطور دلالاتها بين العصور اللغوية، خاصة بين عصريْ الجاهلية والإسلام. وللحسم أكثر في ظاهرة الترادف، وتبيين أنّ لكلّ مفردة دلالاتها السياقية أو اتّحاد في المعنى مع مثيلة لها؛ فقد نصّ "أولمان" على طريقة

عملية لاختبار الترادف في تعريفه للمترادفات، يقول:" ألفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أيّ سياق".[1]

فمن الأمثلة على الألفاظ المترادفة والمتقاربة في دلالاتها المعنوية: " نحمده تعالى – ونشكره أن متّعنا.../ قرية– بلدتنا– لمجتمعنا/ الأمّهات– الأخوات/ من العيش الرغيد والرفاهية المفرطة– بالبدخ والترف –وكِدنا ننتهي إلى حدّ البطر والترف/ فتح الله عليه من الأرزاق، وبما أغدق عليه من أنواع النّعم/ وتقديره حقّ قدره إيمانا وعقيدة صحيحة/ حبائل الشيطان– ومكايد الشيطان/ لمفاجآت الدهر ولا بقوارع الزمان– قنا نوائب الزمان– المصائب والشدائد/ أشقائنا وأصدقائنا".

فإن تأمّلنا وأمعنّا النظر –على سبيل المثال– في بعض من مواضع هذا الترادف لنتفيّأ ظلال خصوبةَ اللسان العربي وبلاغته، ولتُصافحنا نُسيمات الدّلالات والإيحاءات الغزيرة والقويّة؛ فإنّ "**الحمد والشكر**" اختلفا لفظا وتقاربا معنى، فالحمدُ أشمل من الشكر، والأول مُسبِّب للثاني؛ ذلك أنّ الحمد لا يكون إلا للذّات العلية والشّكر يكون لله ولكلّ من أحسن إلينا بأدنى معروف، وشتّان ما بين إحسان الله تعالى وفضله على خلقه وإحسان البشر فيما بينهم، فلا تصحّ الموازنة ولا التسوية، وبالتّالي وبهذا الإجلاء لبعض معاني الحمد والشكر، فلا يصحّ استبدال مفردة بأخرى، ولا يُمكن لها أن تسدّ مَسدّها معنى وصورة.

أمّا عن التّرادف بين لفظتي:" **قرية– بلدتنا– لمجتمعنا**"، فباحتكامنا إلى دلالات القرآن الكريم–أصل كلّ الدلالات في مختلف المستويات– والمُعجزُ بلفظه ومعناه، ومن لطائفه في لفظتي:" **قرية– بلدتنا**" فقد اقترنت دلالة "**القرية**" نكرة أو معرفة في الأغلب بمواقف سلبية، وعلى العكس كانت دلالة "**البلدة**".

لذلك ومن تمام امتلاك الشّيخ ناصيةَ اللغة العربية مقرونةً بمرجعيّتها القرآنية، فقد استدلّ الشّيخ بآيتين كريمتين تُثْبتان ما ذكرناه على تلك المعاني للفظتي: "**قرية– بلدتنا**" نذكر إحداهما في قوله تعالى:(وَكَمْ **أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ** بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ

1– ينظر: معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، م س، ص: 138

تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [سورة القصص/58]. لذا نجد من الشّيخ وفي سياقه للفظتي:" **قرية- بلدتنا**" أن أضاف للأولى صفة:" مطمئنة " تفاؤلا بذلك وشكرا لله تعالى، وأضاف للثانية صفة :" الطيّبة"، ولو أنه لم يضف لهذه الأخيرة لأغنت بنفسها عن تلك الصفة. فلا يصحّ استبدال مفردة بأخرى، ولا يُمكن لها أن تسدّ مَسدّها معنى وصورة.

ثالثا: ظاهرة التّضاد

يعد التّضاد(الطباق) نوعا من أنواع البديع، ومنه الطباق بنوعيه والمقابلة، وحاصله "الإتيان بالنقيضين وعلى صعيد واحد"، إذ يقع ضمن المحسنات المعنوية، غايته: الكشف عن المعاني العميقة بالثنائيات الضدّية والدلالات البلاغية، وقد تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية وتصويرها في أدق حالاتها.

أما عن تجليات هاته الظاهرة في هذه الخطبة، فلنتأملها بالثنائيات الضدّية:

" ظاهرة وباطنة، آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا- الْجُوعِ وَالْخَوْفِ/ بزوال نعمته وحلول نقمته/ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ/ فإن لم نتعظ- أن نتعظ بغيرنا.

ومن الدلالات التي توّحي بها هاته الصور البديعية: "**تأكيد المعنى وإبرازه، التوازن بين الترغيب والترهيب**"؛ أما عن الملمح الأول فلا شكّ أن المعنى في تلك الثنائيات الضدّية سيبرز أكثر ويتّضح في نفوس المتلقين وتؤثّر فيهم-شرط أن يكون في سياق واحد- فلنتصّوره أن لو كان بدونه، ذلك أن الأشياء تُعرف قيمتها بضدّها، أما عن الملمح الثاني في إقامة موازنة بين "**الترغيب والترهيب**"، تلك الغاية العامة المزدوجة التي يصبو القرآن الكريم لتحقيقها، ومن أجلها أُنزل،، حالة وسطى معتدلة بين التبشير والإنذار، بين الخوف والرجاء؛ خوف الإنسان من عذاب الله تعالى ورجاء رحمته وعفوه، كي لا يسيطر عليه الخوف فييأس من رحمة الله، وكي لا يطمئن إلى رحمة الله فلا يرتدع عن ارتكاب الآثام.[1] .

1- ينظر: معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، م س، ص: 93، 100

أمّا إذا أردنا أن نُلفت النظر إلى ظاهرة "**الحقول الدلالية والتناسب بين أجزاء الخطبة**" فإني أعُدّها أصلا تفرّعت عنه الظواهر السابقة المدروسة؛ في:" المشترك اللفظي والترادف والتضاد".

هذا لأنّ الحقلَ الدّلاليّ: «هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها»[1]. فقد لمسنا صبغةَ الحقل الدّلاليّ الخاص بمعجم الخطبة، والذي كان في معظمه حول: "النعم بين الشكر والكفر"، من خلال ما تجلّى من العلاقات الترابطية بين مفرداتها في ظواهر " **المشترك اللفظي والترادف والتضاد**". وما أوحت به من دلالات معنوية وصوتية.

رابعا: ظاهرة التناص

التّناص مصطلح نقدي حديث أريد به تداخل النصوص وتعالُقها وتقاطُعها وإقامة الحوار فيما بينها، فكل نص قد تأثر بنص سابق له. وحدّده باحثون كثيرون من نقّاد الغرب أمثال: **باختين، كريستيفا، ريفاتير**... ومن نقّاد العرب: **محمد بنيس، وعبد الله الغذّامي، ومحمد مفتاح**...[2]. وقد يكون التّناص دينيا، متمثّلا في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، أو يكون أدبيّا متمّثلا في الأشعار والحِكم والأمثال، وقد يكون تاريخيا مستلهَما من الحوادث التاريخية. وكل هذه قد تبدو جليّة أو خفيَّة.

وقد تجلَّت ظاهرة التَّناص بقوة وبخاصة الدِّيني منه، والذي لا يقصد بذلك الاستشهاد بالأحاديث والآيات القرآنية، بل تقاطع النص الدِّيني الغائب مع النص الحاضر.

أ) من التناص القرآني:

ما يزال القرآن الكريم منبعا صافيا عذبا يستلهم منه الشّعراء والأدباء صوره ومعانيه، وخاصة في فنّ الخطابة، لإضفاء المسحة الفنّية والجمالية على نصوصهم من جهة، والتي تؤدّي بهم إلى الخلق والإبداع من جهة أُخراة، وهذا ما نلمسه بصورة بارزة في ثنايا الخطب التي اخترتها للمقاربة الأسلوبية في هذا المبحث، حيث أردتّ أن أتوسّع في هذه

1- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب نشر. توزيع. طباعة القاهرة، ط1427،06هـ /2006م، ص:79.

2- ينظر: جمال مباركي، التّناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية الجزائر، (د، ط)، (د، ت، ن)، ص: 37، 38.

الظاهرة من مُختلف الخطب، للكشف عن مدى تجلّيات ظاهرة التّناص في خطب الشيخ، كمصطلح نقدي حديث تبدو آثاره جليّة أو خفيَّة، كما أنها سمة سابقة أصيلة –قبل العصر الحديث–في الخطب الإسلامية؛ فنحكم على ملكة الشيخ في هذه الظاهرة وتوفيقه بين الأصيل والحديث في نسج خطبه.

- ومن أمثلة ذلك في خطبة: " **في مؤتمر "لا إله إلا الله" 1433هـ-2012م،**

1- قول الشّيخ: « الحمد لله الذي **أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة**» .

إشارة إلى قوله تعالى:« وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ **نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ».[سورة لقمان :20]

حيث تجلّى في إدخال ضمير المتكلِّم الجمع بدل ضمير المخاطب الجمع الوارد في سياق الآية؛ على أنّ الشّيخ في **مقام استهلال** لخطبته الممزوجة بين الدينية والاجتماعية، فلا بدّ له أن يُظهر ذلك التذلّل لله تعالى وكامل الخضوع، بالثناء عليه وتعظيمه بأفعاله وصفاته العليّة؛ منها تجليات فعل "**الإسباغ**" لمختلِف النّعم التي لا تعدّ ولا تحصى، وما نجده من تثبيت تلك النعمة على البشر.

2-وحين تحدّث عن نعمتي العيش في رغد والأمن في البلد، في مقدّمة الخطبة قال: « ونشكره أن متّعنا **بالعيش في قرية مطمئنة آمنة**» .

إشارة إلى قوله تعالى:« وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ **آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً** يَأْتِيهَا **رِزْقُهَا رَغَدًا** مِّن كُلِّ مَكَانٍ ».[سورة النحل :112]. ودلالة ذلك استشعار الشّيخ لأهمية النّعمتين الجليلتين في صلاح حياة البشر، ومن دونهما لا تقوم لهم قائمة ولا عزة ولا تمكين ولا استقرار، خاصّة للمسلمين منهم، كما أضفى هذا التّناص إيقاعا موسيقيا ترتاح له الأذن وتطمئن إليه النّفس.

3-أما عن قوله:« والتي تُتوّج اليوم في **بلدتنا الطيّبة** بهذا اللقاء المبارك...» .إشارة إلى قوله تعالى:« كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ** وَرَبٌّ غَفُورٌ »..[سورة سبأ :15]. فالشّيخ في سياق التنويه والتهنئة للأمّهات الفُضليات بإنهاء مؤتمرات"**لا إله إلا الله**" في مختلِف قصور الوادي، ثمّ كان مسك الختام في بلدته والتتويج لها، واصفا بلدته بكل تفاؤل–كعادة الشّيخ –بالطِّيبة؛ فالطيّب دال على الخير في كل الأحوال ولمختلف المجالات، حيث تستمدّه من أفضال الله تعالى عليها وإكراماته على عباده الطيّبين.

4–وفي قول الشّيخ:« ...ومن أعظمها **التعاون على البر والتقوى** والتشاور الاجتماعي في كل ما يعود على مجتمعنا وعلى الأمة الإسلامية باليمن والبركة». تلميح إلى قوله تعالى:« **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى**».[سورة المائدة :02]. حيث كان من الشّيخ أن أثنى على الأمهات الفُضليات ما يقمن به من أعمال وجهود للمحافظة على طهر المجتمع وصلاحه، خاصّة ما كان منه من حفاظ على تراثه وأعرافه الطيّبة، حيث تستند إلى منهج القرآن والسنة الشريفة وإجماع العلماء.

5–ومن التناص القرآني ما لمّح إليه الشّيخ بقوله:«بزوال نعمته وحلول نقمته وما هي من **الظالمين ببعيد**» .إشارة إلى قوله تعالى: « مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ **الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**».[سورة هود :83]. وفي ذلك بُعدُ نظر من الشيخ، وتخويف بما خوّف الله تعالى منه الظالمين، وخوّف به سيدنا لوط قومَه، فسُنن الله تعالى وقوانينه لا تتخلف ولا تُحابي فردا أو مجتمعا، عند التمّرد والتمادي على العصيان. حيث أنّه تعالى انتقم شر انتقام من قوم لوط بسبب ما استشرى فيهم من الفواحش، حين لم يتّعظوا برسولهم–لوط عليه السلام– رغم تذكيره لهم بالتحذير المستمر؛ وهكذا انتقام الله على كلّ من طغى وتجبر، وظلم نفسه بالتّمادي على المعاصي دون توبة نصوح.

▪وفي خطبة "**في مهرجان شاعر الثورة**" نلمس تجلٍّ آخر لظاهرة التّناص القرآني؛ ما نجده في مُقدّمة الخطبة، حيث استهلها بقوله:« نحمدُك اللّهم يامن **خلقت الإنسان وعلّمته البيان**، وألهمته رشده بإنزال القرءان». إشارة إلى قوله تعالى:« الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ».[سورة الرحمن:1–4]

حيث تجلّى في إدخال ضمير المخاطَب بدل ضمير الغائب الوارد في سياق الآية؛ على أنّ الشّيخ في **مقام استهلال** لخطبته الممزوجة بين الدينية والاجتماعية، وهو من تمام الانكسار فلا بدّ له أن يُظهر ذلك التذلّل لله تعالى، بالثناء عليه وتعظيمه بأفعاله وصفاته العليّة؛ منها تجلّيات لفعل "الخلق والتعليم" تجاه بني البشر.

ب)ومن التناص السُنّي:

للأحاديث النّبوية الشّريفة حضور جليّ في خطب الشّيخ، نتيجة تشبّعه وتكوينه الرّاسخ في المجالين الدِّينيّ والأدبيّ.

- ففي خطبة " **في مؤتمر "لا إله إلا الله" 1433هـ-2012م**، ملمح للتناص النبويّ، حيث يقول الشّيخ:« ...وذلك بمعرفة فضل المُنعم وتقديره حق قدره **إيمانا وعقيدة صحيحة في وحدانيته وربوبيته، واستقامة على نهجه...**» .

إشارة إلى قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو عمرو وقيل أبي عمرة-سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لّي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال:« قل: **آمنت بالله:** ثم **استقم** ». [1].[رواه مسلم]

يستلهم الشيخ في ثنايا عباراته وتزاحم الألفاظ والتراكيب، أفكاره وأحكامَ أقواله في خُطبته من مِصباح النُبوّة الّذي لا ينطفئ، بما يليق وموضوع الخطبة، أثناء حديثه ناصحا أمينا وفي سياق التذكير بشكر المُنعم وفضله علينا، ومُقابلة ذلك الإحسان العظيم بالاستقامة القولية والعملية؛ لِما في ذلك من العبودية الحقة للخالق الرازق في استدامة العيش الرغيد والأمن من الخوف لكلّ قرية تهفو إلى ذلك.

- وفي خطبة " **في الانتخابات الرئاسية لسنة 1999م**"

وممّا ذكره الشيخ في المقدمة:« ...**والأرواح جنود مجنَّدة** كما قال رسول الله ﷺ ...» .

إشارة إلى قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة:« الناس معادنُ كمعادن الذهب والفضة، خِيارهم في الجاهلية خِيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا، **والأرواح جنود مُجنَّدة**، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». [2].[رواه مسلم]

حيث تجلّى في مقطع من الحديث، وفي سياق خطابه هذا السياسي في استقبال الوفد الرئاسي؛ ما يعكس رسوخ الشيخ الدّيني في القرآن والسنة، والتفيّؤ دوما بظلالهما، حيث أنّه في موقف استقبال الرئيس ووفده يستحضر تلكم المعاني من هدي مُعلّم البشرية وسيّد الخلقﷺ ذلك العالم الروحي والوجداني اللطيف، والذي يفيض بمختلف المشاعر والأحاسيس عندما تحتضن النفوس قبل الأجساد في استقبال الأحباب. ويحسبها جنودا

1- صبحي الصالح، منهل الواردين شرح رياض الصالحين، رقم الحديث: 369، دار العلم للملايين بيروت ، ط01، 1970، ص: 110.

2- صبحي الصالح، م ن، ص:275-276.

تتوافق وتنسجم مع البعض، وتختلف مع البعض الآخر، في تصوير فنّي بديع يستميل النفوس ويَشُدّها، وذلك عالم لا يعلم حقيقته إلا الخالق له سبحانه وتعالى.

ج)ومن التّناص الأدبي:

- ففي خطبة " **في مؤتمر "لا إله إلا الله" 1433هـ-2012م**، وممّا ذكره الشيخ في ثنايا خطبته حين كان يُشيد بدور المرأة الصالحة في القديم؛ حيث كانت نِعم السند للرجل في الوقوف بجانبه في المُلمّات، والتعاون معه على البرّ والتقوى، ولو في أحلك الظروف، يقول:« ...وفي الإشفاق على زوجها يصدق فيها المثل الشعبي القائل:"**الرجل ساقية والمرأة جابية**"». فمِثْلُ هذا يوحي بذلك الرصيد الأدبي الشعبي الذي يزخر به الشيخ من الأمثال الشعبية، وفي حُسن الاستدلال بها، نتيجة ما علمته مدرسة الحياة.
- وفي خطبة " **في الانتخابات الرئاسية لسنة 1999م**"

وممّا ذكره الشيخ في المُقدّمة حين كان يُبدي سُروره الفيّاض بالقدوم الكريم لفخامة الرئيس:« ... بمناسبة زيارتكم التاريخية لبلدتنا الطيّبة فأقول:

على الرّحب حلّوا أجمعين على الرحـــب نزلتم كراما في حمـــى الله والشـــعـب

طلعتم علينا كالكواكب في الدّجـــــــى وسرتم إلينا كالسّحائب في الجـــدب...» .

إشارة إلى قول "**الشاعر محمد العيد آل الخليفة**" حيث أراد الشّيخ أن يُعبّر على الفرحة الكبيرة التي تغمر فؤاده، وبلسان إخوانه وأخواته العطفاويين، على ذلك الحُلُول الكريم في أرضهم وبين أهلهم وذويهم، الذي يرجو به الخير والبركات من وراءه للبلاد والعباد، كما يُترجّى الخير واليمن والبركة من حلول الكواكب والسحائب إذا ما ظهرت بعد انتظار وجدب وقحط؛ ومن منّا يُنكر ما تَجنِيه الكائنات من خيريْ الكواكب والسحائب؟.

الخاتمة

بعد أن تمّ البحث بحمد الله تعالى وفضله، كانت أبرز النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا الموسوم بـ: [**فنّ الخطابة عند الشيخ محمد بن ابراهيم سعيد (كعباش) مقاربة أسلوبية** لثلاث خطب من كتابه "صرخات على مسرح المجتمع"] على النحو الآتي:

1-أسهمت **الدّراسة الصّوتية** في الكشف عن جماليات تراكيب "**الخطبة الأولى**" وتلاحمها وتناغمها؛ في ألفاظها وحروفها من خلال الجرس العذب البديع لمختلف الظواهر الصوتية المدروسة، حيث أضفت عليها تجلّيات لشتى الدّلالات النفسية والمعنوية؛ فكان ذلك مُناسبا لطبيعة الخطبة واستقبال الوفد الرئاسي.

2-لا تقلّ **الدّراسة الصّرفية** أهمّيةً عن الصوتية في تراكيب "**الخطبة الأولى**"؛ فقد كشفت براعةً في ملكة الشّيخ حين وَفّق في **ازدواجية رائعة** بين التراكيب الاسمية من جهة، والدّالة على **الثبات واللزوم**، وبين التراكيب الفعلية من جهة أخرى، والدّالة على **التغير والحدوث والتجدد**.

3- كثافة "**الظاهرة الاسمية**" كانت الأكثر في **الدراسة الصرفية**؛ حيث دلّ ذلك على "**الثبات واللزوم**" ما شاع ظلالا عنها في استقبال الوفد الرئاسي، وما يستدعيه ذلك الموقف من **تثَبُّتٍ ولزومٍ** لمختلف الحركات والسكنات.

4-كان **للدّراسة النحوية** الحظُّ الوافر والأثرُ البالغُ، في استخلاص مَكامِن التّراكيب وخفاياها وأسرارها، وأثرها على المتلقّين في ثنايا "**الخطبة الثانية**" حول "مهرجان شاعر الثورة"؛ من خلال ما أَثَرْتُه من مختلف الظواهر، إلّا أنّه يُمكن أن أختصر نتائج هذه الدّراسة، فيما أشار إليه صاحب "الطراز" في تِبيانه الفرق بين علم النحو وعلم البيان: " فالنّحويُّ ينظر في التركيب من أجل **تحصيل الإعراب** لتحصل **كمال الفائدة**، وصاحب علم المعاني ينظر في دلالته الخاصة، وهو ما يحصل عند التركيب من **بلاغة المعاني** وبلوغها في **أقصى المراتب**".

5–من السّمات البارزة في خطبه الشيخ: "**السجع التلقائي**" الذي زاد للأسلوب إيقاعا جماليا ونغما موسيقيا، يَأسرُ قلوب السّامعين ويؤثر فيهم، لما له من قوة في التأثير والإقناع.

6–أما عن **الدّراسة الدلالية**؛ بظواهر "**المشترك اللفظي والترادف والتضاد والتّناص**" فقد كانت بَادِيةً بِحُللها وجمالها في الثراء اللغوي والأدبي والاستدلالي لدى الشيخ، حين كشفت عن تلك العلاقات الترابطية في التّركيب أو الاستبدال بين العناصر اللغوية للنّسيج الأدبي، أثناء خطاب الشيخ للمجتمع النسوي في حقل دلالي عام حول:" **النّعم بين الشكر والكفر**".

7–توفيق الشيخ–عموما– في خطبه بين الجمالية الفنية في الشكل، وقوة المعنى والمغزى في المضمون، واللطائف الأدبية الهادفة.

8–تناول الشيخ للفكرة بالعمق من حيث التحليلُ والتعليلُ، مع إقامة الحجة بالدليل القاطع للإقناع والتأثير؛ من مُختلف مضانّها، القرآنيّة والسُنيّة والأدبيّة.

10– تُعدُّ خطب الشيخ مدرسةً تكوينيّة للعامة، فقد هذّب أذواقهم فاستقامت بها أخلاقهم.

11– يعدّ الشّيخ –ومن خلال هذه المقاربة الأسلوبية لعيّنات من خطبه– **شيخا إماما وأديبا مِصقعا**، وذلك من خلال فكره الإصلاحي المعتدل ومنهجه الوسطي، وجمالية أسلوبه الأدبيّ.

وفي الأخير وأنا أطوي صفحات هذا البحث، والذي حاولت فيه قصارى جُهدي أن أُلِمَّ بمختلف جوانب الموضوع، أرجو أنّي قد قدّمت أنموذجا "كلبنة ثانية" في دراسة آثار مشايخ منطقتنا من منظور المنهج الأسلوبي المعاصر، كما أتوخّى أن تعْقُبه دراسات أخرى، تنفض الغبار عن تراثنا الأدبي الجزائري الزّاخر بصفة عامة والمحلي بصفة خاصة، كما أرجو لهذا الجُهد العلمي أن تتبعه دراسات لمختلف آثار الشيخ المتبقية وغيره من الأدباء والمشايخ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الذي هداني وأَنعم عليّ وفتح عليّ من

أبواب علمه وحكمته، فتمّ هذا البحث بعونه تعالى ومنِّه، فأرجو أن يَجعله من العلم النافع وخالصا لوجهه الكريم يخدُم العلم النافع والأدب الرفيع، وأن لا يُؤاخذني بأيّ نسيان أو خطإ.

قال الله تعالى: «لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا **إِلاَّ وُسْعَهَا** لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**». [سورة البقرة/286]

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أ- المصادر:

1- ابن منظور: « لسان العرب » دار الفكر و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1429هـ/ 2008 م

2- محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، رحلة العمر، ط1: 1436-2015، نشر مكتبة التوفيق العطف غرداية الجزائر 1436-2015، طيف للطباعة.

3- محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، نشر مكتبة التوفيق العطف غرداية الجزائر، طبع: المطبعة العربية – غرداية 2016، (د، ط).

ب-المراجع

1- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدي العربي للمدارس الثانوية والعليا، 1416هـ -1995م، (د، ط)، دار المعرفة.

2- أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط1، القاهرة، دار غريب 2006.

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب نشر. توزيع. طباعة القاهرة، ط1427،06هـ /2006م.

4- إيليا الحاوي: معروف الرصافي الثائر والشاعر، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط 01، 1978، ج02.

5- بوعلام بن حمودة، مفاتيح اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط2، (د،ت،ط).

6- جمال مباركي: «التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر» إصدارات الإبداع الثقافية، (د،ط)، (د،ت،ن).
7- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ط1 1986، دار الجيل، (د، ت، ن).
8- سليمان بن عيسى باكلي، التلاوة الصحيحة قراءة الإمام نافع روايتا قالون وورش من طريق الشاطبية، ط2، 1428هـ-2007م، ثريا، ج1.
9- صبحي الصالح، منهل الواردين شرح رياض الصالحين، رقم الحديث: 369، دار العلم للملايين بيروت ، ط01، 1970.
10- عبد السلام المسدي: «الأسلوبية والأسلوب» دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان ، ط5 ،2006م
11- عبد الله ركيبي: « تطور النثر الجزائري الحديث » ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، القبة ، الجزائر (د.ط) . (د.ت.ط)
12- عماد علي سليم الخطيب:« في الأدب الحديث ونقده » دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط 1 ، 1430هـ / 2009 م
13- فرحان بدري الحربي: « الأسلوبية في النقد العربي الحديث» المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1 1424هـ/ 2003م
14- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، ط1: 1432-2011، نشر جمعية التراث القرارة (الجزائر) 1432هـ-2011م.
15- المباركفوري، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، ط6: 1430، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (د، ت، ن).
16- نور الدين السد: « الأسلوبية وتحليل الخطاب » دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د.ط) 2010م ج1.

ج _ المجلات والدوريات:

محمد صالح ناصر، الشّيخ عبد الحميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي مزاب، مجلة الوعي الفكرية الثقافية الصادرة عن دار الوعي. الجزائر، العدد01 جويلية1431هـ/ 2010م.

د _ البحوث الجامعية:

1–مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د.خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2006.

2–معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، أطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د.خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2003.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	/
ملخّص البحث	/
مقدّمة	أ – هـ
تمهيد	08
المبحث الأول: الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد (كعباش) خطيبا، من خلال كتابه" صرخات على مسرح المجتمع" **المطلب الأول:** نبذة عن حياة الشّيخ، وتعريف بكتابه " **صرخات على مسرح المجتمع**" **الفرع الأول:** حياة الشّيخ محمد بن ابراهيم سعيد (كعباش) وآثاره	12
الفرع الثاني: التعريف بكتابه " **صرخات على مسرح المجتمع**"	16
المطلب الثاني: فنّ الخطابة وتجلّياته عند الشيخ محمد سعيد (كعباش) **الفرع الأول:** أسس فنّ الخطابة وسماته الفنّية	19
الفرع الثاني: تجلّيات فنّ الخطابة في عينات من خطب الشيخ محمد سعيد (كعباش)	23
المبحث الثاني: مقاربة أسلوبية لفنّ الخطابة عند الشيخ محمد سعيد (كعباش).(ثلاثُ عيّنات لخطب من كتابه" **صرخات على مسرح المجتمع**")	34

المطلب الأول: المستوى الإفرادي(للظواهر الصّوتية والصّرفية) **الخطبة الأولى: بعنوان:**" في الانتخابات الرئاسية لسنة 1999م"	**35**
الفرع الأول: الظواهر الصّوتية	**36**
الفرع الثاني: الظواهر الصّرفية	**43**
المطلب الثاني: المستوى التّركيبي(للظواهر النّحوية والبلاغية) **الخطبة الثانية: بعنوان:**" في مهرجان شاعر الثورة "	**48**
أولى الظواهر النّحوية:	**50**
آخر الظواهر البلاغية:	**59**
المطلب الثالث: المستوى الدّلالي **الخطبة الثالثة: بعنوان:**" في مؤتمر " لا إله إلا الله "	**61**
أولا: ظاهرة " المشترك اللفظي"	**64**
ثانيا: ظاهرة " الترادف "	**65**
ثالثا: ظاهرة " التضاد "	**67**
رابعا: ظاهرة " التناص"	**68**
الخاتمة	**73**
فهرس المصادر والمراجع	**76**
فهرس المحتويات	**79**

تمّ بحمد الله تعالى وعونه